شمس

الحجاب

رؤية إسلامية دائمة

ردًا على كتاب

الحجاب رؤية عصرية

للكاتبة إقبال بركة

نادية كيلاني

الحجاب رؤية إسلامية دائمة

الكتاب: الحجاب رؤية إسلامية دائمة
المؤلف: نادية كيلاني
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٠٨
رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٨٨٠٦
الترقيم الدولي:
I.S.B.N: 987 - 977 - 6284 -21-0

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى - المقطم - القاهرة
ت/ فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢) ٦٤/٠١٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net

الغلاف: الفنان أمين الصيرفي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أى جزء من هذا الكتاب بأى وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

إهداء

إلى أختى الحائرة بين الحجاب والسفور
أنت بشعرك أجمل بحجابك أقيم

افتتاحية

لا أخفي على قارئي أنني واقعة اليوم بين مطرقة الحق وسندان الحب. وأن الكتاب الذى أتناوله بالرد والتفنيد والتصدي لما جاء به من أغلاط هو كتاب لصاحبة قلم لها تاريخ مع اللفظ والمفردة، ورحلة مشهودة مع الرؤى الاستشرافية الصائبة، ولها أيضًا في نفسي معزة.

وعلى الرغم من إيماني الكامل بقيمة الحب كفضيلة؛ أرى أن الحق يسمو عن الحب ويرتفع، وأنه ينادي أصحاب الأقلام فى كل زمن أن ينصروه ويردوا عنه شوائب التحليل التى حادت عن المنطق أحيانًا وقاربت حد الشطط.

دوافع كثيرة ساقتني للرد على الأستاذة إقبال بركة فى كتابها (الحجاب رؤية عصرية) أبرزها قناعتي بأن الحجاب الثابت فى النصوص القرآنية حولته أهواء البعض إلى قضية متأرجحة يتناولها هذا وذاك بلا موضوعية ولا إطالة نظر. ليس هذا فقط بل لإحساسي الجازم أن رغبات التفتيش عن النقاط ذات الحساسية فى ديننا والخوض فيها بالمشارط لا الأقلام أصبحت تشكل متعة لدى الكثيرين دون الالتفات لما تحدثه السطور من خلط فى مفاهيم

العامة ممن يثقون فى اسم الكاتب وتاريخه المهني. ومع الدافعين السابقين يبقى دافع ثالث يتمثل في غيرة المرأة المسلمة على دينها وحرصها وخوفها اللا محدود على الفتيات المسلمات ممن حيرتهم الآراء المتعاركة والتحليلات المتباينة فيما القضية الرئيسة واضحة وضوح الشمس.

كتابي في مجمله رد على مغالطات حفلت بها سطور إقبال بركة، وتصفيق فى ذات الوقت للصواب المكتوب على الصفحات، بل هو وثيقة حيادية حاولت فيها الانصاف - ما استطعت- لا أبتغي من ورائها إلا نصرة الحق والترسيخ (للحجاب) رمز المرأة المسلمة وعنوانها الواضح.

وأخيرًا تظل محبتي للكاتبة فوق كل نقاش، ويبقى دفاعي عن الحق شرفًا أتحلى به وأعيش.

نادية كيلاني

المقدمة

عندما قرأتُ كتاب (الحجاب رؤية عصرية) للكاتبة إقبال بركة، وقررت أن أتناوله بالرد بما يفتح به الله عليَّ، قاصدة بذلك وجه الله ورسوله؛ قرأت على ظهر الكتاب هذه العبارة:

(لقد عكفت السيدة إقبال بركة طوال أربع سنوات على قراءة ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب الأدب والتاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية ومطالعة كل ما كُتب عن الحجاب حتى استطاعت أن تُخرج بهذا الكتاب)

قلت لنفسي أين أنا من هذا الجهد الكبير؟ وكدت أتراجع، ولما قرأت في مقدمة الكتاب قولها:

(كل الاتهامات توجه للمرأة من منطلق إسلامي، ولذلك دفعني حرصي على ديني إلى أن أسعى لمعرفة الحقيقة، ولكن الإجابة عنه استغرقت أربع سنوات من حياتي، قضيتها غارقة في قراءة ودراسة القرآن الكريم والسنة، واللغة العربية، والأدب والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وكل ما قدمته لي مناهج قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة).

تشجعت مدفوعة أيضًا بحرصي على ديني حيث إنني قضيت نفس السنوات الأربع في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ولا يخفى على أحد ما تقدمه دار العلوم من مناهج، ويكفي أنها تمنح إجازة تسمى ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. فضلاً عن انتسابي لأحد المعاهد التي تعني بتحفيظ القرآن ودراسة التجويد والتفسير والفقه (معهد أبي ابن كعب)

والكتاب الذي تبنته أكثر من دار نشر ما بين القاهرة ودمشق، وطبع عدة طبعات، يدور حول إباحة كشف الشعر، ويقع في ثمانية فصول هي بالترتيب:

خلفية تاريخية، الحجاب في التاريخ، الحجاب في القرآن الكريم، الحجاب في الحديث النبوي، الرق قبل وبعد الإسلام، الحجاب والهوية الإسلامية، ثم آراء مع الحجاب، آراء ضد الحجاب.

والذي شجعني أكثر على إبداء رأيي في هذه القضية، هو قول الكاتبة الكبيرة إقبال بركة في نهاية المقدمة:

(وليس لي في النهاية إلا أن أرجو من الله المغفرة إذا كنت قد أخطأت، وأن أرجو من يقرأ الكتاب ويخالف ما جاء فيه أن يتذكر قوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

وأنا بدوري أرجو أن تنتفع الكاتبة إقبال بركة وكل من يقرأ كتابي هذا، كما انتفعت أنا بكتابها في بعض المواضع، وأسأل الله التوفيق وأن يذكرنا بما ينفعنا.

وأذكرها وأذكر نفسي بقول الشاعر:

يا ليتنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شي

***

أما ترتيبي في تناول فصول الكتاب وتحقيقًا للفائدة من وجهة نظري؛ فقد رأيت أن أبدأ بالفصل الثالث:

(الحجاب في القرآن الكريم) وبعده (الحجاب في السنة) دون إغفال للفصول الأخرى، ولن أكرر ما قاله الفقهاء والسابقون حيث إن الكاتبة لها رأي يقول:

(هم رجال ونحن رجال)

وإنما أعتمد في ردي على كل ما جاء في الكتاب من آراء بالدرجة الأولى، والعمل على تفنيد هذه الآراء ومراجعتها، والرد عليها، جملة جملة، وفقرة فقرة.. ليكون أقرب للقارئ وللقارئة الحائرة بين الحجاب والسفور..

والله من وراء القصد..

نادية كيلاني

الفصل الأول

الحجاب في القرآن الكريم

تقول السيدة إقبال في بداية الفصل الثالث «الحجاب في القرآن الكريم»:

(بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر من شهر رمضان سنة ٦١٠ ميلادية، وكان ينزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) طوال بعثته منجمًا؛ أي آياتٍ آيات، على حسب الحوادث والمناسبات التي أحاطت بتاريخ الدعوة الإسلامية، وبعض السور نزلت كاملة).

* * *

(وقد اتفق العلماء في تفسيره على أن تكون «العبرة بخصوص السبب» أي ألا يقتصر فهم الآيات القرآنية على تفسير عموم اللفظ، بل لابد من الرجوع إلى أسباب تنزيلها والظروف التاريخية التي أوحيت فيها، لأن الجهل بهذه الأسباب كثيرًا ما يوقع في الخطأ في فهم الآية، فقد تدل ألفاظ الآية على أن الحكم الذي تتضمنه حكم عام، في حين أننا لو علمنا سبب نزولها لأدركنا أنه حكم خاص،

متصل بقصة معينة أو بشخص معين، وعلى سبيل المثال لما نزلت الآية:

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(المائدة: ٩٣)

ظن بعض الصحابة أن الخمر أبيحت لهم، ولكن الرسول (عليه الصلاة والسلام) بيَّن لهم أن الآية نزلت مرتبطة بسبب معين.

وذلك أنه لما حُرمت الخمر قال بعض الصحابة: كيف بمن ماتوا في سبيل الله وكانوا يشربون الخمر؟ فنزلت هذه الآية متضمنة حكمًا خاصًا بهؤلاء الصحابة، الذين كانوا يشربون الخمر وماتوا قبل تحريمها، لهذا حرم العلماء تفسير القرآن الكريم على من يجهل أسباب نزول آياته).

* * *

* انتهى كلام الأستاذة وأتفق مع ما جاءت به من ضرورة معرفة أسباب نزول الآيات، مع تحفظ بسيط هو؛ أن هذه الأسباب ما هي إلا مواقف رتبها الله سبحانه وتعالى حتى يشرِّع من خلالها

الأحكام التي تنفع الأمة على مدى السنين، وليس من حقنا أن نلغي بعض الآيات التي لا تتناسب مع أهوائنا في هذه الأيام بحجة أن أسباب النزول قد انتفت في عصرنا.

فقد رتب سبحانه وتعالى زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) من أم المؤمنين «زينب بنت جحش» ترتيبًا لا يخطر على قلب بشر بأن زوجها أولًا من ابن النبي بالتبني، ثم طلقها منه، ثم تزوجها النبي (صلى الله عليه وسلم) لكي يلغي بذلك حكمًا خاصًا بالتبني، وبدلًا من أن كان اسمه زيد بن محمد، صار اسمه زيد بن حارثة، ولا نستطيع إطلاقًا أن نلغي هذا الحكم الآن بحجة أنه خاص بشخص زيد.

وقد رتب سبحانه وتعالى نزول آيات الخمر تبعًا لسؤال الصحابة، وفسرها لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) ونزلت الآيات وانتهى أمر نزول القرآن بعد أن أتم شرعه سبحانه وتعالى، وأصبح هذا هو الشكل النهائي، فخذوه كما هو أو فلتأثموا.

ولو اعتبرنا كلام الأستاذة هذا ملزمًا؛ للزم استمرار وجود الرسول حتى الآن، ولاستمر نزول القرآن حتى الآن تبعًا للمواقف.

وقبل أن ندخل في صلب الموضوع؛ أنوّه على المثال الذي ساقته الكاتبة، والخاص بالذين ماتوا وكانوا يشربون الخمر.

فقد ظن بعض الصحابة أن الخمر أبيحت لهم، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيَّن لهم أن الآية نزلت مرتبطة بالصحابة الذين كانوا يشربون الخمر وماتوا قبل تحريمها، فالأمر هنا خاص بفهم الآية، وبيَّن لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) تفسيرها الصحيح، ولم تلغ الآية من القرآن لا في حينها ولا بعدها بـ ١٤٢٧ سنة.

* * *

وما هو القرآن:

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذريات: ٢٣)

هو كلام الله عز وجل المنزل على سيدنا محمد (صلى الله علي وسلم) بواسطة جبريل (عليه السلام) المتعبد بتلاوته، والمتحدي بأقصر سورة منه، المنقول إلينا نقلًا متواترًا.

وتقول الروايات: إن القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا لأنه كلام الله ، وكلام الله قديم غير مخلوق على رأي، ثم نزل على النبي (صلى الله علي وسلم) منجمًا، ونقول منجمًا حتى لا نقول مقطعًا أو مفرقًا، أرأيت الحساسية التي يتعاملون بها مع كتاب الله، فما بالك بكلامه سبحانه وتعالى، ومنجمًا جاءت من النجوم لعلو منزلته، ولكن هناك من يجادل.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾

(الفرقان: ٣٢)

إذن نزل القرآن منجمًا لعدة أسباب:

- تثبيت فؤاد النبي (صلى الله عليه وسلم)
- الرد على أسئلة الصحابة (رضوان الله عليهم)
- موافاة الأحداث.
- تيسيرًا لحفظه.
- التدرج في التربية والتكاليف.

تجدد نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم)

فالذين يرفضون آيات الحجاب معلقين ذلك على فهم أسباب النزول، نقول لهم فوائد أسباب النزول هي:

- معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل، وفى ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن؛ أما المؤمن فيحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، وأما الكافر فتسوقه الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفًا..!
- الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها.. قال الواحدي:

(لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)

- وقال ابن تيمية:

(سبب النزول يُعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)

- تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، مثل آيات الظهار. فبديهي أنه لا يمكن معرفة المقصود ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب.
- معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها، وذلك لقيام الإجماع على أن حكم السبب باق قطعًا.
- معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين، حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء.
- تيسير الحفظ والفهم، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها.

هذه هي الحكمة من معرفة أسباب النزول، وليس لأن نلغي آية ثابتة بالقرآن ونقول انتهى زمانها.

* ■ *

وتقول الكاتبة:

(وفي القرآن الكريم يعتبر اللباس من النعم التي أسبغها الله تعالى على البشر، ومن الزينة ومن الطيبات المحللات لهم.. كذلك حدد الغرض من اللباس، وهو إلى جانب الوقاية من تقلبات الطبيعة إخفاء السوأة «العورة».

قال تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦).

و قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٩)

و قال تعالى:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا

إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(النور: ٣١)

و قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٣)

وتقول الكاتبة:

(وجاء في كتب التفسير أن سبب نزول آيتي الجلباب والخمار أن بعض شبان الأنصار المستهترين والمنافقين كانوا يتعرضون للنساء، ويهتكون أعراضهن ويحرضونهن على ارتكاب المعاصي. فشكت النساء إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فنزلت الآيات وفيها أمر للرسول بأن يبلغ زوجاته ونساء وبنات المسلمين بأن يسحبن الخُمُر، التي اعتدن أن يرتدينها على جيوبهن «أي على فتحات

صدورهن» وهذا تفسيرهم لعبارة:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾

وأن يوسعن جلابيبهن ويجعلنها سابغة فضفاضة، وهذا تفسير عبارة: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾

* * *

** استشهدت الكاتبة بآيات صحيحات صريحات على تحديد زي المرأة المسلمة، وأتت بسبب النزول؛ ولكن السؤال الذي يطرح نفسه:

هل حين شكت النساء للنبي (صلى الله عليه وسلم) قال لهن ما قال من تلقاء نفسه، مع علمه بأحوال الشباب المستهتر، أم انتظر حتى نزلت الآيات..؟!!

نص الكلام أنه نزلت الآيات وفيها أمر للرسول، بأن يبلغ زوجاته وبنات المؤمنين.. بماذا يبلغهن.. بل بماذا يأمرهن بلفظ «قل» أمرهن بأن يسحبن الخُمُر التي اعتدن أن يرتدينها على جيوبهن (أي فتحات صدورهن) وأن يوسعن جلابيبهن ويجعلنها سابغة فضفاضة.

فأي غموض في هذا الكلام، هل يحتاج الأمر إلى لفٍّ ودوران ولَيٍّ عنق الآيات حتى نصل إلى معنًى مختلفٍ عما جاء به رب

العزة في كلام صريح واضح مباشر، وبلغة عربية صحيحة هي لغتنا الجميلة، وهو أمر للنبي (صلى الله عليه وسلم)، والأمر موجه لزوجاته أمهات المؤمنين وبناته بنات المؤمنين، وكذلك نساء المؤمنين، إذن هو تشريع للأمة الإسلامية، وهو تشريع للمؤمنين رجالًا ونساءً، ومن يجادل في هذا ليس من المؤمنين، بل من المعاندين.

* * *

وتقول الكاتبة:

جاء في تفسير القرطبي لآية الجلباب:

وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تبرُز أي «تخرج من خيمتها» للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار فيظن أنها أمة «جارية» فتصيح به فيذهب، فشكَوْنَ ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ونزلت الآية بسبب ذلك، «لذلك» والكلام للكاتبة أمرَ الله رسوله أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن، إذا أردن الخروج لقضاء حوائجهن. وكن يتبرَّزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكُنُف «دورات المياه» فيقع الفرق بينهن وبين الإماء، فتُعرف الحرائر بسترهن).

* * *

** تقول الكاتبة: «لذلك» أمرَ الله رسوله أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن، إذا أردن الخروج لقضاء حوائجهن.

نطرح سؤالًا آخر.. وهل كنَّ يغيِّرن زيهن إذا خرجن لأمر آخر غير أمر التبرز في الصحراء؟!! مثلًا عند الذهاب للمسجد أو إلى السوق أو لزيارة بعضهن البعض، أو إذا خرجن مع أزواجهن أو أحد محارمهن لأمر ما.. أم كان هو زي النساء في جميع أحوالهن..؟!!

** وهل يُعقل أن تنسخ الآية بعد ألف وأربعمائة سنة، لمجرد أن أنشئت دورات المياه في البيوت، دون أن يشير رب العزة إلى أن هذه الآية مدتها ألف وأربعمائة سنة فقط لا غير..؟!!

* * *

وتقول:

(أما آية الحجاب؛ فقد أجمع المفسرون على خصوصيتها بنساء النبي (صلى الله عليه وسلم) دون إمائه وبناته والصحابيات، والآية لا علاقة لها باللباس أو الثياب، بل هي خاصة بآداب زيارة المسلمين لبيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومراسم مخاطبتهم لزوجاته داخل البيت إذا اقتضت الضرورة، فيتم ذلك من وراء حجاب، أي ساتر، أو ستار يخفي شخوصهن رضي الله عنهن وشخوص من يتحدث إليهن، فلفظ الحجاب في القرآن الكريم معناه حاجز أو ستارة تحتجب من خلفها، وليس معناه زي أو لبس المرأة).

ثم أحالتنا الكاتبة للنظر في السور الآتية: (الأعراف: ٤٦)، و(ص: ٣٢)، و(فصلت: ٥)و(الشورى: ٥١)، و(الإسراء: ٤٥)، و(مريم: ١٧) وهذه الآيات وجدتها بالترتيب هكذا:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ٤٦)

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (ص: ٣٢)

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ (فصلت: ٥)

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾ (الإسراء: ٤٥)

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ (مريم: ١٧)

** وكلها آيات تدل على أن لفظ الحجاب معناه حاجز، أو ستارة، ونحن لا نختلف في هذا المعنى ولكننا هنا بصدد الخمار الذي هو غطاء الشعر، وقد أطلق لفظ الحجاب على الإيشارب أو الخمار الذي تغطي به المرأة شعرها جوازًا.

ثم تحكي قصة سبب نزول آية الحجاب فتقول:

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزل، وكان أول ما أُنزل في مبتنى «زواج» رسول الله بزينب بنت جحش (رضي الله عنها) وأصبح النبي بها عروسًا، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقيَ رهط منهم عند النبي، فأطالوا المكث، فقام النبي فخرج وخرجتُ معه، ومشى النبي ومشيت، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أُنهم خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي بيني وبينه بالستر وأُنزل الحجاب)..

(رواه البخاري ومسلم)

* * *

ومفاد الحديث والكلام للكاتبة:

(أن النبي دعا جماعة المسلمين إلى حفل زفافه إلى زينب بنت جحش رضي الله عنها، وحضروا جميعًا، وأكلوا وذهبوا إلا بعض الثقلاء تجاوزوا حدود الضيافة، وظلوا جالسين في غرفة العروس

يثرثرون مما ضايق الرسول (صلى الله عليه وسلم)، على الرغم مما هو معروف عنه بضبط النفس والسماحة والصبر، وخرج من غرفة السيدة زينب ومرَّ على زوجاته، ثم عاد ليجد تلك المجموعة ما زالت في مكانها تثرثر في أحاديث فارغة، ويقول أنس بن مالك: إنه لما عاد ووجدهم قدم رجلًا داخل الغرفة وأبقى الأخرى خارجها، وفي تلك اللحظة نزلت آية الحجاب، التي منعت العرب من زيارة بيوت أمهات المؤمنين بدون إذن، ونظمت أسلوب التحدث إليهن، ليكون من وراء حجاب أي ساتر «ستارة»).

وتقول الكاتبة:

(وحديث أنس بن مالك يدلنا على أن الحجاب «الستار» ضرب بين رجلين هما الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأنس، وليس بين رجل وامرأة).

* * *

عسى أن تكون الكاتبة قد اقتنعت بأن سبب النزول ما هو إلا ترتيب لتشريع لآخر العمر، فرغم أن حديث أنس بن مالك يدلنا على أن الحجاب «الستار» ضرب بين رجلين هما الرسول وأنس، وليس بين رجل وامرأة.. إلا أن الآية الكريمة تقول:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

فالآية تفرض الحجاب بين الرجال والنساء بدليل: «قلوبكم وقلوبهن»

إذن فأسباب النزول؛ ما هي إلا تمهيد لتشريع لحكم عام باقٍ إلى يوم الدين، فرغم أن ضرب الحجاب بسبب النزول كان بين رجل ورجل؛ إلا أن الحكم العام هو بين الرجال والنساء.

** *

تقول الكاتبة:

(وقد نزلت الآية الكريمة في السنة الخامسة من الهجرة، وبعد نزولها ضرب الحجاب على نساء النبي، وأن لفظ الحجاب في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة معناه حاجز أو ساتر، ويعني ستر الأشخاص لا الأبدان)

* * *

والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا تقصد من عبارة لا ستر الأبدان..؟!

هل يفهم من ذلك أن الحجاب وهو ستر الأشخاص، يعني أن تتكلم المرأة من وراء الباب مثلًا، أما إذا فتحت الباب وخرجت فلا حجاب ولا خمار ولا جلباب..!!

ثم إن اللعب باللغة قد ينجح مع المخلوق لا الخالق، وقد يشغل الغر إلى حين، ولكنه مع الله سبحانه وتعالى له شأن أخر، حيث

إنه سبحانه وتعالى يعاقب على النية: «إنما الأعمال بالنيات»

فإذا اصطلح وأشيع بين الناس في عصرنا الحالي تسمية غطاء الرأس وهو الخمار بالحجاب؛ فلا ضير في ذلك، وليس هو بالخطر الفادح الذي يجعلنا نقيم الحُجة، والبراهين ونحكي قصة أنس بن مالك في محاولة لإثبات أن الحجاب ستر الأشخاص لا الأبدان، وأنه خاص بنساء النبي إلى آخر الكلام، فقد اصطلح على القول «الكرة الأرضية» وهي بيضاوية، كما اصطلح على تعبير «طلوع الشمس ومغيب الشمس» وهي لا تطلع ولا تغيب وإنما الأرض هي التي تدور حولها.

ثم إن الكاتبة نفسها تعتمد لفظ الحجاب، وتعطي له الصلاحية حين تستخدمه على أنه الخمار أو النقاب، وذلك في عنوان الكتاب (الحجاب رؤية عصرية) حيث تضع صور عدد من المنتقبات على غلاف إحدى الطبعات، وكذلك في عناوين الأبواب، الحجاب في القرآن، الحجاب في الحديث، آراء مع الحجاب، آراء ضد الحجاب.. إلخ، وهي تقصد بذلك كله الخمار أي غطاء الرأس... فلماذا لم تكن أكثر تحديدًا وتقول الخمار والنقاب، حتى تترك كلمة حجاب لمعناها الأصلي: وهو ستر الأشخاص لا الأبدان..؟!!

وتقول:

(إذن فالنساء المسلمات لسن مطالبات بالاقتداء بنساء النبي، وهو من الخصائص النبوية التي شاء الله سبحانه وتعالى أن يميز

بها رسوله وأهل بيته عن سائر الناس، كرامة له وتعظيمًا لمقامه، وارتفاعًا بآل البيت عن كل شبهة، ومن ثم فالاقتداء بهن غير مطلوب، ويعني تطاولًا محظورًا إلى مقام النبوة).

* * *

لا والله... الاقتداء بالنبي وزوجاته في التزام العفة والتستر لا يُعَد تطاولًا بل اتباعًا، حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) وزوجاته قدوتنا ودليلنا، صحيح لسنا مطالبات ولكن التقليد محبة وعفة.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾

(الأحزاب:٢١)

صحيح أنهن لسن كأحد من النساء، ولكن هذا في مضاعفة الحسنات، ومضاعفة السيئات، وفي عدم زواجهن بعد النبي، فهن أمهات المؤمنين، وإلا لصار كل ما جاء في هذه الآية خاص بنساء النبي وليس علينا فعله، مثل قول المعروف، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله؛ فهل هذا يُعد تطاولًا أيضًا..؟!!

وبالطبع لا نستطيع أن نقول للنساء لا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، لأن هذا يعد تطاولًا على مقام النبوة!!

بل يجب علينا أن نتبرج تبرج الجاهلية الأولى، لأن النهي خاص بنساء النبي!!

ونستعرض الآية:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً(٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً(٣٣)﴾ (الأحزاب: ٣٣،٣٢)

ماذا في هذه الآية لنا وماذا لنساء النبي..؟ ثم أن آيات الحجاب التي نظمت أسلوب التحدث إلى أمهات المؤمنين ليكون من وراء حجاب أي ساتر «ستارة» هي فقط الخاصة بهن رضي الله عنهن، أما آيات الخمار والجلباب فهي أمرٌ موجهٌ لزوجاته (صلى الله عليه وسلم) وبناته ونساء المؤمنين.

وتقول:

(وقال بعض المفسرين فلما نزلت في نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الآية؛ قالت نساء المسلمين الحريصات على دينهن فما نزل فينا شيء..!!

صحيح هم رجال ونحن رجال، وأيضًا هن نساء ونحن نساء، هن الحريصات على دينهن، يتساءلن فما نزل فينا شيء، ونحن نقول ليس لنا من الأمر شيء.

فنزلت الآية:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾

(الأحزاب: ٣٥)

ونتفق مع الكاتبة بأن هذه هي شروط الإيمان الصحيح، التي تساوي بين النساء والرجال في كل شيء، ولكن من هم المسلمون والمسلمات..؟

يقول العلماء:

هم من سلموا أنفسهم لله، واتبعوا ما أمر وابتعدوا عما نهى، وهناك ما يُسمى بالشرائع الظاهرة، ولقد أمر سبحانه وتعالى بالنسبة للنساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن، وهذه هي «الشرائع الظاهرة».

ومَن هم المؤمنون والمؤمنات؟ يقول العلماء:

هم من آمنوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وآمنوا بالقدر خيره وشره، وهي أمور باطنة أي من عقائد القلب وأعماله، وهذه هي «الشرائع الباطنة».

ولا يمكن معرفة أحوال الباطن إلا بتطبيقه في الظاهر:

وهو «ما وقر في القلب وصدقه العمل».

* * *

أما من كان مبلغ همها هو صباغة شعرها وفرده أمام الرجال الغرباء، وقد كشفت عن مناطق من جسمها أمر الله بسترها، كيف نطمئن بأن هذه تؤمن بالله وكتبه، وما جاء فيها من أوامر ونواه.

وكيف نطمئن للرجل الذي يتباهى بعُري نسائه، بل ويشجعهن ليقال عنه متحضر، بأنه يؤمن بالله وكتبه وما جاء فيها من أوامر ونواه، ومثل هذا الرجل في الدين يقال عنه «ديوث»، أي لا يغار على أهله وهو ليس من المؤمنين.

* * *

وتقول:

(ورغم أن المسلمات وغير المسلمات كن يرتدين الخمار والجلباب وأحيانًا النقاب منذ زمن طويل، فقد اختلف المفسرون حول معاني وشروط وأشكال اللباس الذي يحمي جسد المرأة.

ففي معنى الجلباب قال البعض:

«الجلباب كسرداب القميص» وقال آخرون: «رداء تغطي به المرأة ثيابها، أو ثوب واسع لستر أجسادهن» وانشغلوا قرونًا طويلة بماذا يظهر، وماذا يختفي من بدن الأمة، وانقسموا حول المقصود بعبارة ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ فذهب البعض (عن ابن عباس) أن نساء المسلمين أمرن بأن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلباب إلا عينًا واحدة، ليعلم أنهن حرائر!!

ورأى البعض الآخر أنه يجب تغطية جيوبهن، وقال النسفي: «كانت جيوبهن (فتحة الصدر) واسعة تبدو منها صدورهن، وكن يسدلن الخمُر من ورائهن، فتبقى مكشوفة، فأمرن أن يسدلنها من قدامهن».

كذلك اختلف الفقهاء في تفسير كلمة الجيوب:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾

فقال البعض إن موضعها النحر أي أعلى الصدر، وقال آخرون: بل الصدر لا النحر، وقد كنى عن الصدور بالجيوب لأنها تلبس عليها، واختلفوا وتناقضوا حول ماهية الزينة الظاهرة التي يمكن أن تبديها المرأة للغرباء.

﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

فقال بعضهم إنها الوجه والكفان، وأضاف ابن مسعود: والثياب، وقال آخرون (عن ابن عباس): إنها الكحل والسوار والخضاب (الحناء) إلى نصف الذراعين والقرط والخاتم.

وفي رواية أخرى تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها! وهو قول يناقض القول الأول، فهو لا يرغم المرأة على تغطية الوجه والكفين، وقيل عن (ابن عباس) أيضًا: إن الزينة الظاهرة هي الكحل والخاتم والخدان والخضاب في الكف، وقال النسفي إن موضع الزينة الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق والقرط والقلادة والوشاح والدملج (السوار والخلخال)، وأفتى بعض الفقهاء بأن الإماء المؤمنات لهن (وعليهن) أيضًا أن يكشفن عن رؤوسهن وبعض أطرافهن (مثل قدر من الذراع وقدر من الساق) أثناء العمل إعمالًا لقاعدة: «المشقة تجلب التيسير» أوقاعدة: «الحاجات تنزل منزلة الضرورات في إباحة المحظورات».

بل إن البعض الآخر أفتى بجواز كشف الذراع أثناء الصلاة، لأنها من الزينة الظاهرة (كالسوار). ورغم أن الآيات لا تذكر شيئًا عن الشعر؛ فقد قالوا بأن المرأة عليها أن تغطي شعرها لأنه مصدر الفتنة فيها، بينما من المسموح لها أن تضع الكحل لتظهر سحر عينيها، والخضاب (أي الماكياج والمانيكير بلغة العصر) وأن تتزين بكل أنواع الإكسسوارات من الأقراط وأساور وخواتم.. إلخ.

وقد زعموا أنه تعالى لعن (السلتاء) التي لا تخضب بالحناء (والمرهاء) التي لا تكتحل، وتلك هي الزينة الظاهرة في رأي المفسرين القدامى، ولا دليل عليها في كتاب الله.

تلك خلاصة ما اجتهد إليه المفسرون القدامى في تفسير الآيات الكريمة، وأغلبها يعود إلى رأي المفسر شخصيًا وليس إلى نص آية قرآنية أو حديث صحيح.

* * *

** هكذا جالت الكاتبة في آراء المفسرين القوي منها والضعيف، وعبارة (تفسير الآيات الكريمة يعود إلى رأي المفسر شخصيًا وليس إلى نص آية قرآنية أو حديث صحيح) ليست صحيحة؛ لأن تلك الآراء التي خلص إليها المفسرون بالطبع لا تتأتى من الرؤية الشخصية للمفسر، لأن التفسير إنما يقوم على فهم المبنَى اللغوي وهو واسع الأرجاء، فالمبنى في العربية ليس مبنًى ضيقًا محدودًا، فهو اختلاف في فهم المبنى لا رأي المفسر الشخصي إلا أن يكون له غرض، وأن في اختلاف المفسرين والفقهاء رحمة بالأمة.

وكيف سنفهم النص إلا بالاجتهاد في المعنى، والكاتبة تدعو للاجتهاد، إلا ما جاء به حديث صريح يفسره ويزيل عنه غبار الالتباس؟

وما رأيك لو اتبعنا منهجًا خاصًا بنا فبدلًا من أن تقولي: قال بعضهم، وبدلًا من أن تتحيري وتقولي: وأغلبها يعود إلى رأي المفسر شخصيًا وليس إلى نص آية قرآنية أو حديث صحيح.. وهم رجال ونحن رجال كما تقولين في غير موضع، هيا بنا نعود للأصل الثابت والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولنجتهد معًا في تفسير الآيات، فالنص ثابت ولله الحمد، لأن الله تعالى تعهد بحفظه.. ولغته لغتنا ولله الحمد أيضًا فلا يستشكل علينا لفظه. قال تعالى:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(النور: ٣١)

** في هذه الآية سبعة أوامر هي:
أولًا: غض البصر.
ثانيًا: حفظ الفرج.
ثالثًا: الاقتصار على الزينة الظاهرة.
رابعًا: إسدال الخمار على الجيوب.
خامسًا: تحديد المحارم المطلعون على زينة النساء.
سادسًا: عدم الضرب بالأرجل للفت الأنظار.
سابعًا: التوبة إلى الله عما سلف.

فكيف بالله نأتي لآية واحدة - وقد جعلها ربنا واحدة لهذه الحكمة- ونحذف من وسط هذه الأوامر أمرًا واحدًا فقط خاصًا بلزوم تغطية شعر المرأة..!

فكلمة بخمرهن لمن تتكلم العربية دليل على لزوم الغطاء للرأس!! أي أن الأصل هو تغطية الشعر، والآية تفرض أن الشعر عليه خمار بالضرورة وفقط تطلب أن تغطي المرأة بهذا الخمار الجيب يعني فتحة الصدر، وهذا هو الدليل على وجوب تغطية الرأس!!

* * *

والسؤال الذي يجب أن يثير البلبلة هو؛ كيف تغطي فتحة الصدر بغطاء الرأس (الخمار)؟

هل أن تأتي المرأة بطرف خمارها وهو غطاء رأسها وتلفه حول رقبتها، ويسدل على فتحة جلبابها التي تدخل منها رأسها، أم تأتي به من فوق الرأس وينزل من على الوجه ليغطي فتحة الصدر؟!!

هكذا كان المفروض أن يكون الخلاف في كيفية تغطية فتحة الصدر بغطاء الرأس.. بمعنى من أين يؤتى بطرف الخمار؟

هناك من اجتهد وارتاح لأحد الرأيين وأخذ به فله أجر، إن كان مخطئًا، وله أجران إن كان مصيبًا، أما أن نقول بعدم تغطية الرأس على الإطلاق والآيات لا تذكر شيئًا عن الشعر. فهذا ليس اجتهادًا ولكن هوى.

** هذا هو الدليل الأول على وجود أمر بتغطية الرأس، أما وأن الخمار كان عادة قبل الإسلام، فهذا لأنه الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، ثم أقره الإسلام ولم يلغه، وننتبه لكلمة لم يلغه، بل نظمه ورتبه وأضاف إليه تغطية فتحة الصدر وهو الجيب.

* * *

وتقول الكاتبة:

(وقد أجمعوا على أن الغرض من الآيات لم يكن تعبديًا أو دينيًا، وإنما هو اجتماعي صرف؛ وهو حماية النساء الحرائر من المستهترين من شباب المدينة المنافقين والصعاليك، الذين يلحقون بهن الأذى في الوقت الذي يحتاج فيه النبي إلى تنظيم صفوف المسلمين، ومواجهة الأعداء، إلى جانب تنظيم شئون الدولة والتمهيد لاستقرارها

بالقوانين والمؤسسات الشرعية التي تحمي الأفراد، وتحرس الأمن وتعاقب الخارجين على القوانين).

* * *

** الكاتبة ترى أن الأمر اجتماعي صرف، وقد شرع الخمار والجلباب فقط لحماية النساء المسلمات الحرائر من مستهتري المدينة في ذلك الوقت، وكأن الآن لا يوجد مستهترون، أو أن اليوم توجد قوانين تحمي الأفراد، فعلى المرأة أن تمشي على حل شعرها والقانون سيعاقب من يحاول أن يضايقها!!

وتراه أيضًا لأن النبي يحتاج إلى تنظيم صفوف المسلمين ومواجهة الأعداء، وكأننا اليوم لسنا في حاجة إلى تنظيم صفوف المسلمين وليس لنا أعداء!!

ثم إن هذا الرأي لا يليق بمقام النبوة، فالنبوة هي المساواة في الاهتمامَات بكل أمور الحياة، دون أن يطغي حكم على آخر، وهي الحنكة المدعومة بتكليف من قبل الله سبحانه وتعالى واصطفائه بها عز وجل.. وهذا هو العدل الذي هو أبسط سمات الخلق من البشر فما بالنا بالنبي المصطفى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!!

فالتصور بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) يريد أن يتفرغ لشيء على حساب شيء أخر، يتنافى مع صفات النبوة.. في حين أن الأمر بالخمار نص قرآني وليس تنظيمًا نبويًا.

** ولو استعرضنا سورة الأحزاب نجدها تبدأ بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً(١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

(الأحزاب: ١، ٢)

يقول المفسرون:

إن الله يبلغنا أن هذه السورة سيتكالب عليها الكافرون والمنافقون، ليحرفوا آياتها وهو سبحانه عليم حكيم، فيأمر نبيه بعدم طاعتهم، وأن يتبع ما يوحى إليه، إذن فهذا أمر بالاتباع.

ولشدة التأكيد على ضرورة الالتزام بما جاء في السورتين (النور، والأحزاب) نجد قوله سبحانه وتعالى:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ١)

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ (الأحزاب: ٣٦)

ولا يخفى على أحد عاقبة الضلال فضلًا عن أنه مبين.

** أي أنه لا ينبغي ولا يليق بمن اتصف بالإيمان إلا الإسراع إلى مرضاة الله ورسوله، والامتثال للأمر واجتناب النهي، وإذا قضى الله ورسوله أمرًا فليس له خيار من أمره، أي ليس له أن يفكر هل أفعل أو لا أفعل، بل يعلم المؤمن والمؤمنة أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا أي حاجزًا بينه وبين أمر الله ورسوله، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينا، والضلال خسران والعياذ بالله.

** ثم نأتي للآية (٥٩) من سورة الأحزاب، وفيها أمر الله نبيه أن يأمر النساء عمومًا ويبدأ بزوجاته وبناته لأنهن أولى من غيرهن «يدنين عليهن من جلابيبهن» ولأن الآمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

(التحريم: ٦)

والعلة من هذا الأمر قوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

دلَّ على وجود (أذية) إن لم يحتجبن، فربما ظُن أنهن غير عفيفات فيتعرض لهن من في قلبه مرض، وربما استُهين بهن وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر.

* * *

وماذا يقول المفسرون في هذه الآية:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ١)

هذه سورة عظيمة القدر أُنزلناها رحمة منا بالعباد، وحفظناها من كل شيطان وفرضناها أي قدرنا فيها ما قدرنا، من الحدود والشهادات وغيرها، وأنزلنا فيها أحكامًا جليلة، وأوامر وزواجر وحكمًا عظيمة لعلكم تذكرون آية تقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ (الأحزاب٣٦)

وآية تقول:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾

والآيتان في سورتي الخمار والجلباب ثم نجادل.. لمصلحة من؟!!

** ثم بيَّن الله سبحانه في السورة حُكم الزاني والزانية وهو الجلد أمام طائفة من المؤمنين، وبين حكم الذين يرمون المحصنات أيضًا الجلد وعدم قبول شهاداتهم، وبين حكم الذين يرمون أزواجهم وهو اللعن على أنفسهم إن كانوا من الكاذبين، وكذلك بين سبحانه آداب الاستئذان في الدخول إلى البيوت.

كل هذا ونقول لم تكن هناك أحكام ومحاكم، ونحن الآن لدينا الشرطة!!

* * *

تقول الكاتبة:

(بينما في القرآن الكريم آية تأمر المسلمين رجالًا ونساءً بأن يغضوا من أبصارهم، وأن يحفظوا فروجهم، فالرجال مأمورون بغض البصر أي بعدم الحملقة في النساء، وألا يقربوا الفاحشة فالله يرقبهم ما ظهر منهم وما بطن؛ وخير لهم أن يلتزموا بأمره الواضح الصريح، وأن يتقوا الله في النساء المسلمات.

كذلك أمرت النساء بغض البصر عن الرجال، وأن يحفظن فروجهن كما نصحهن بالتحشم في الملبس وفي السلوك وألا يبالغن في إبداء زينتهن الظاهرة، حتى يتقين شر ضعاف النفوس، من غير الأقارب الذين لم يتغلغل الإيمان إلى أعماقهم، بحيث يحميهم من شر قلوبهم المريضة (المحرضة على الرذائل).

** سبحان الله فآية غض البصر هي جزء من الآية، ويأتي بعدها في نفس الآية (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)، وقد أراد الله بحكمته وعلمه الربط بين غض البصر وضرب الخمار على الجيب (فتحة الصدر).

* * *

** ووالله لم نجد رجلًا يغض بصره عن امرأة سافرة أبدًا، وإنما يغض بصره بالفعل- وهذه آية من آيات الله سبحانه – عن الملتزمة بأمر دينها، فكيف نطلب من رجل أو شاب يقف أمام امرأة كاشفة شعرها وصدرها وذراعيها وساقيها، ونطلب منه أن يغض بصره؟!

يقول الشاعر:

وكيف أغض طرفي أهو أعمى
وكيف أرد قلبي أهو صلـــــبُ

** أما عن النصح بالتحشم في الملبس وفي السلوك وألا تبالغ المرأة في إبداء الزينة الظاهرة؛ فهل هناك زينة أهم من الشعر الذي اصطلح على أنه تاج المرأة!!

وكم تفنن الكوافير في عمل قصات للشعر وتسريحات يخصص لها رجال عالميون، يبدعون لإبداء المرأة في أجمل زينة، بالإضافة

لما يتبع إظهار الشعر من الجلوس بين يدي الرجال (مصففي الشعر).

** وهل نجد زمنًا من الأزمنة خاليًا من ضعاف النفوس الذين يجب اتقاء شرهم، وهل تغلغل الإيمان في أعماق كل البشر بحيث يحميهم من شر قلوبهم المريضة (المحرضة على الرذائل) والحمد لله الأمن مستتب، ولا توجد جرائم اغتصاب، ولا هتك عرض هذه الأيام!!

وإن كان الخمار وإدناء الثياب لا يدفع الفساد حتمًا، إنما هو أقرب إلى دفعه، ألسنا مأمورين بسد الذرائع؟!!.

* * *

** ثم كيف أن الأمر بشيء لا يدل على وجوب هذا الشيء، وهو أمر من رب العزة وخالق البشر، وعارف بما يصلحهم، وجاء الأمر في سورة تبدأ بـ أنزلناها وفرضناها.

** وإذا اتخذ بعض الفقهاء تلك الآيات ذريعة للإفتاء بالحجر على النساء، وغالوا كما تقول الكاتبة، ومنهم من أفتى بتغطية بدن المرأة كله إلا عينا واحدة.

ومنهم من أفتى بستر جميع بدن المرأة، بما في ذلك الوجه والكفين والقدمين (الحنابلة)، ومنهم من رأى أن قدمي المرأة ليستا عورة عملًا بمبدأ «الابتلاء بالإبداء» (أبو حنيفة)، ومنهم من أفتى

بإبداء الوجه والكفين، ومنهم من قال والقدمين.

* * *

** فليس غريبًا أن يختلفوا، فالنفوس المؤمنة منها ما تأخذ نفسها بالشدة، ومنها ما تميل إلى الاعتدال، وكلها مثابة بإذن الله، ولكن من منهم أفتى بإظهار الشعر موضوع بحثنا؟!!

ومن منهم أفتى بأن الآية الكريمة كانت لتيسير خروج المرأة (وسط الصحراء وفي الظلام لقضاء حاجتها فقط)

ومن جرؤ وقال:
وقد نسخ هذا الحكم بوجود دورات مياه في البيوت، والمعروف أن الآية تنسخ بآية، وفي زمن نزول الآيات، لا برأي يقول:
لم يكن هناك دورات مياه في البيوت، فهذه سخرية من كلام رب العزة، وهذا اجتهاد غير ملزم لنا إذا كنا نتقى الله ورسوله.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾
(الأحزاب: ٢٤)

** فإذا قال البعض بتغطية بدن المرأة كله إلا عينًا واحدة، وأرادت بعض النساء الأخذ به سدًا للذرائع فلها حريتها، وإذا قال

البعض بإبداء الوجه والكفين والقدمين وأرادت بعض النساء الأخذ به تيسيرًا فلا بأس، أما أن نرفض هذا وذاك ونبتر الآية ونقول صريح الآيات تأمر بغض البصر وعدم المبالغة في الزينة، ولا نقول وليضربن بخمرهن على جيوبهن، وهي وسط غض البصر والزينة، فهذا يقع تحت قوله تعالى:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٨٥)

* * *

وتقول الكاتبة:

(وواقع الأمر أن الآيات لم تذكر أعضاء المرأة التي يجب أن تظهر أو تختفي ولم تصرح بزي محدد يفرض على المؤمنات في كل زمان ومكان، بل تركت ذلك لكل عصر، تختار فيه المؤمنات وفق إرادتهن الحرة ما يحقق لهن الاحتشام وعدم التبذل واتقاء الفتنة.

وقد اختارت النساء العاملات في وقتنا الراهن كلباس محتشم ارتداء البدل أي البنطلون تحت الجاكيتات الطويلة نوعًا التي تنسدل على البدن مقتربة من الساق، فهل خالفن في ذلك الشرع لأن البدلة

والجاكيت والبنطلونات لم تذكر في آية أو حديث شريف!!)

* * *

** أصبت والله.. الزي كما وصفته الآن لا يخالف الشرع لأنه في غاية الاحتشام والعصرية، وهو بديل عن الجلباب، وقد دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) لنساء الأنصار المتسرولات أي اللاتي يلبسن السروال (البنطلون) تحت ملابسهن، جاكيت طويلة مقتربة من الساق هذا جميل، وبنطلون واسع نوعًا هذا رائع، والقرآن لم يأمر إلا بستر البدن بما لا يصف أو يشف.

ولكن هناك شيئًا حاك في الصدر.. هل هذا الزي هو نفسه يكون زيها في المساء والسهرة؟!! وفي جميع الزيارات والمعاملات؟ إن كان هذا فبها ونعم.

** ومشكلة أخرى.. هذا الاختيار الجميل حل لمشكلة الجلباب فماذا عن الخمار، أو نقول هذا خاص بالبدن، أما عن فتحة صدر الجاكيت الطويلة، فقد أمر المولى سبحانه وتعالى أن تأتي المرأة بطرف خمارها وتلفه على صدرها، لأنه في كل الحالات لا بُد للشعر من خمار.

* * *

وتقول الكاتبة:

(إن الإسلام لم يبتدع الخمار، ولم يبتكر الجلباب، وإنما نظم عملية ارتداء المسلمة لهما، لكي يحميها من الإيذاء في وقت كان الناس قريبي عهد بالوثنية، لم تتعمق في نفوسهم التقوى والخوف من الله ومن حسابه يوم الدين، وقد غلبت فيهم قبل الإسلام أخلاق الجاهلية وانعدم في زمانهم العلم، وغابت السلطات التي تحمي المواطنين من بعضهم البعض كالقوانين والشرطة والمحاكم..إلخ)

* * *

** أما وإن الإسلام لم يبتدع الخمار ولم يبتكر الجلباب، وكان من العادات السائدة قبل الإسلام فهذا صحيح.

** وشرب الخمر أيضًا كان من العادات السائدة قبل الإسلام وحرمها الله سبحانه وتعالى، وأهرقت الخمر في الطرقات أنهارًا.

** والتعامل بالربا أيضًا كان سائدًا وهو من معاملات الناس اليومية، وحرمه الله وامتنع الناس في الحال عن التعامل بالربا.

** وكان طلاق الرجل للمرأة وإرجاعها دون رضاها إلى ما لا نهاية، وقننه الإسلام بمرتين فقط قال تعالى: «الطلاق مرتان» وامتثل الناس في الحال.

** وكان للرجل أن يتزوج من يشاء من النساء بلا عدد، وحدده الإسلام بأربع فقط، وفارق من كان متزوجًا بأكثر من أربع.

** وكانت عادة التبني سائدة ومعترفًا بها، وقال الإسلام أدعوهم لآبائهم، وفي الحال غير الناس أسماء أدعيائهم.

** وكانت هناك عادة وأد البنات وحرمها الله، كل هذا تم تنفيذه في الحال فور نزول الأمر.

** وكذلك الخمار (غطاء الشعر) كان سائدًا قبل الإسلام، ولكن الله سبحانه لم يلغه مثل بعض ما كان سائدًا وتم إلغاؤه، بل أقره ونظمه بما يضمن له أن يكون أكثر سترًا، وذلك بلفه على الصدر حتى أن النساء عندما نزلت الآيات كن يقطعن من ثيابهن ويضعن على رؤوسهن، فأي غموض في هذا الكلام المبين.

* * *

وتقول الكاتبة:

(وقد فسر القدامى آيات الحجاب وفق مفاهيم عصورهم فأضفوا إليها ما لم يذكر فيها مثل التفرقة بين النساء، ولا يوجد في الآيتين ما يدل على التفرقة بين الإماء والحرائر، بل الخطاب موجه لكل النساء: «قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين»)

* * *

** صدقت والله، أما القول بأن القدامى فهموا آيات القرآن الكريم وفق مفاهيم عصورهم فهذا صحيح، وهذا هو الفهم الأصح الذي نأخذ به حيث كان القرآن ينزل ويفسر في حينه، ويعمل به

في التو.. قال صلى الله عليه وسلم: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» (رواه البخاري ومسلم)

وكما قلنا من قبل سالت الخمر في الطرقات أنهارًا وامتنع الناس عن التعامل بالربا، وطلق من كان متزوجًا بأكثر من أربع، كله في الحال لأنهم كانوا يفهمون الأمر، ولا يدخلهم الهوى.

** ثم إن السنة هي مفسرة للقرآن، فكما أمر القرآن بالصلاة وأبانت السنة كيفيته، أيضًا أبانت السنة التفرقة بين الإماء والحرائر.

فقد كان القرآن ينزل والنبي فيهم، ونحن إذا حزبنا أمر أتينا بأمهات الكتب لنعرف ما هو حكم الدين، من خلال ما قاله المفسرون الأوائل، فما بالنا بآية نزلت بصيغة الأمر للنبي بلفظ «قل» وهو (صلى الله عليه وسلم) مفسرًا لها.

وهل تقصد الكاتبة بالقول في ذلك الوقت أن الإسلام جاء ليتغير في كل وقت؟! أم أن عظمة الإسلام أنه صالح لكل وقت؟!!

** أما عبارة أنهم أضافوا إليها ما لم يذكر فيها مثل التفرقة بين النساء: من إماء وحرائر، ترى هل هم أضافوا في التفسير أم أضافوا في نص الآية..

بمعنى: هل هناك آية يضربن بخمرهن، وآية أن يدنين عليهن من جلابيبهن لكل النساء: من إماء وحرائر، أم لا..؟!!

واضحة الألفاظ أم لا..؟!!

بها أمر وتوكيد وإلزام أم لا..؟!

وهذا ما يهم، فإذا أفتى البعض بأن الحرة تحتجب والأمة تكشف، يمكننا القول بأن الآية لم تفرق بين حرائر وإماء، بل الآية تأمر بالخمار وبالجلباب لهن جميعًا، وعليك أيها المفتى الالتزام بنص الآية أو هات الدليل.

وإذا كان لا يجوز القول بأن الحرة تحتجب والأمة تبرز فهل يجوز القول بكشفهن جميعًا؟!! فهذا هو المخالف لنص صحيح.

** وكون الخمار مختصًا بالحرائر دون الإماء في تفسيرهم، والاستشهاد هنا برأي ابن تيمية في تفسيره لآية الحجاب حيث قال:

الحجاب مختص بالحرائر دون الإماء.. والحرة تحتجب والأمة تبرز، ويقول وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى أمة تختمر ضربها».

وأيضًا كما جاء في تفسير الطبري ذكره لنبيه (صلى الله عليه وسلم): يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالإماء في لبسهن.

فهذا ليس إضافة، ولكنه تفسير لأن المجتمع به إماء وحرائر، وسبب هذا التفسير لأن التطور الطبيعي والتحضر الطبيعي الذي ينشده الله ورسوله هو أن تتحرر الإماء، وإذا صارت الأمة حرة تحجبت، أتدري الكاتبة لماذا؟

لأنها لم تعد سلعة، حيث إنها وهي أمة كانت تخدم أسيادها وترفه عنهم، وترقص في المحافل وتباع في الأسواق، وجسدها

هو سلعتها، وكل هذا يستدعي السفور والعري حتى يجد الشاري ما يشجعه على دفع الثمن . فلماذا بالله عليك نعرض الآن بضاعتنا (أجسادنا)؟!!

أم أنك ترين أن الأمة أسعد حظًا وأوفر صحة، إذ يتعرض جسدها للشمس والهواء.

وإذا كنت لا تجدين الآن إماء وحرائر؛ فهل تخيرت لنا زي الإماء..؟! فهل صرنا جميعًا إماء أم نحن الحرائر؟!!

وإذا لم يعد هناك إماء وحرائر فهناك مسلمة وغير مسلمة، ولكل منهما زي يميزها وهذا هو زي المسلمة، فكوني متميزة أيتها المسلمة، وافتخري بهذا التميز الذي فيه كل العزة، فالذي اختار لك زيك هو رب العزة مالك يوم الدين، وليس ملوك الموضة وبيوت الأزياء اليهودية.

ثم إننا نقبل بزي هندي وزي سوداني ولا نقبل بزي إسلامي..!!

* * *

** في سورة النور التي تبدأ بسورة أنزلناها وفرضناها يقول الله تعالى:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(النور: ٦٠)

** فهل يعقل أن يضعن ثيابهن حتى يمشين عرايا تمامًا بلا ثياب، أم هو فقط ترك الخمار من على شعرهن الأبيض أو من على وجوههن لضيق النفس في هذه السن المتقدمة التي لا يرجون فيها نكاحًا، خاصة وقد قال سبحانه وتعالى:

«غير متبرجات بزينة» حتى القواعد يطلب منهن أن يكن غير متبرجات بزينة، وقال تعالى: «وأن يستعففن» أي يطلبهن بالعفة وأن يتمسكن بها، فالإسلام يرفض التبرج والزينة حتى لكبيرة السن التي لا يطلبها أحد، ويدعو للحشمة والخمار هو الحشمة فكيف نرفضه؟!

** وإذا ربطنا الخمار باستهتار الشباب كما ذكرت الكاتبة في أسباب النزول، بأن الآية نزلت لحماية النساء من الشباب المستهتر؛ فهل يسلم أي عصر من العصور من استهتار الشباب، وتحرش الرجل بالمرأة، هل تغير الحال بعد مرور أربعة عشر قرنًا هجريًا، ورغم وجود القوانين والشرطة والمحاكم؟

** هل تغيرت طبيعة بعض الرجال والشباب من المستهترين الذين يتعرضون للنساء، ويشيعون الفوضى، كيف الحال والأمثلة في صفحات الحوادث يندى لها الجبين.

** وأما الآيتان التاليتان، فهما تحذير للشباب المستهتر إن لم يقلعوا عما هم فيه من المشاغبات لنسلطنك عليهم يا محمد فتجليهم عن المدينة ولا يجاورونك فيها.. هذا بسبب مشاغباتهم، وليس الأمر للنساء بأن يدنين الجلباب لحين إقلاع هؤلاء عن الفوضى ثم العودة لتشميره.. ومتى أقلع الشباب عن الفوضى؟

ولكن يدنين الجلباب ليميزن عن الفجرة، فلا يتعرض لهن بسوء.

* * *

وتقول الكاتبة:

(إن المسلمين بعد أن فرضوا الحجاب على نسائهم لم يعودوا يفرقون بين النساء الشريفات وبين الجواري اللائي أرغمن على العمل في بيوت المتعة، أو في حريم الأمراء والأثرياء، وأصبحوا ينظرون بشك وريبة إلى كل النساء ويتعاملون معهن كما لو كن جميعًا عرضة للسقوط والانحراف، وغير مهيآت للتعفف وحماية أنفسهن من الزلل، وبدلًا من أن يسنوا القوانين لتنظيم المجتمع الإسلامي وحمايته من المستهترين والمنافقين، وضعوا الأقفال على نسائهم وحرموهن من كل الحقوق التي منحها لهن الإسلام، وحبسوهن طوال أربعة عشر قرنًا كاملة داخل الحريم الجاهلي).

** إذن نحن نبحث عن الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة، ولهذا فرقوا بين الشريفات والجواري في الحجاب والسفور، وأما

وضعهم الأقفال على نسائهم وحرمانهن من كل الحقوق التي منحها لهن الإسلام، وحبسهن طوال أربعة عشر قرنًا كاملة داخل الحريم الجاهلي.. فهذا ما يجب أن نطالب به كحق للمرأة في الإسلام، في حدود الشرع حتى تكون لنا مصداقية فيما نطلب، وحتى لا تضيع المرأة وتضيع قضيتها، في مطالبة زائفة، وحتى لا يبح صوتنا في جدل لا طائل من ورائه ولنا على طول السنين دليل؟

** فقد قامت الدعوات الكثيرة تطالب بحقوق المرأة، فما كان منها يوافق الشرع تحقق وما كان منها لا يوافق الشرع ضرب به عرض الحائط، لأن هناك من الرجال والنساء من لا يبيع دينه بدنياه مهما علت الأصوات التي تزين لهم العري، فلن تغربهم عن دينهم. وقد كفل الإسلام للمرأة حقها في التعليم، وفي العمل وقد حصلت عليهما بعد جهد المطالبة، وكفل حقها في الخروج للمجتمع والمشاركة في وضع أنظمته وقوانينه، وقد حصلت عليه.

أما عن حق بعضهن في العري فقد حصلت عليه الراقصات وفتيات الفيديو كليب، فمن يضيره أن يكون في المجتمع حرائر لا يقبلن الكشف ولا التعري بكامل إرادتهن، ويمارسن حياتهن الاجتماعية وهن سعيدات في إطار من الحشمة كما فرضها الله سبحانه وتعالى وأوضحها بقوله: «أن يضربن. وأن يدنين».

* * *

** والحقيقة يا سيدتي نحن في حاجة إلى شكل إسلامي نواجه به السفور والعري وأفلام الجنس، التي تفرض علينا من السماوات المفتوحة والإنترنت، ومد العولمة الذي سيخلق بالفعل إماء وجواري وقيانًا، ويسلب من كل الشعوب غير المحصنة بدين هويتها وشخصيتها.

** والأولى أن نوجه صراخنا لفتيات يظهرن «بالكوم» في الأغنيات الهابطة، يرقصن ليس فقط بأذرع عارية وشعور منفوشة، بل ببطون عارية وأثداء وأفخاذ، أم ترون أن هذا هو التحضر والعصرية؟! وهذه هي الحرية؟!

** والحقيقة هذه هي العبودية لأن هؤلاء الفتيات يفعلن ذلك من أجل المال، ودائمًا العري مرتبط بالحاجة إلى المال، فكلما احتاجت أكثر تعرت أكثر، وكلما تعرت أكثر كسبت أكثر، ودائمًا الرجل هو الذي يفرض مساحة العري بقوة شرائه، ما دام هو الذي يدفع.

مراجع الكاتبة هي:

- (قضية السفور والنقاب واختلاط الجنسين عند العرب) د. محمود سلام زناتي.
- (في تاريخ القرآن الكريم) محاضرات الدكتور يوسف خليف ١٩٧٥ / ١٩٧٦.
- (تحرير المرأة في عصر الرسالة) عبد الحليم أبو شقة.
- (في ميدان الاجتهاد) الشيخ عبد المتعال الصعيدي نقلًا عن جمال البنا. ؟؟؟؟؟؟

ولو اعتمدت على عقلها وضميرها وأنوثتها لكان أجدى ، فالحق له وجه واحد، والباطل له ألف وجه، وللباطل قدرات احتيالية تجعل ملامحه تماثل الحق لذلك قالوا عبارة: (حق يراد به باطل)

وقبل أن ننسى؛ فالذي تحاربونه هو رب العالمين، والإثم ما حاك في الصدر!!

يا ليتنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كـل حي
ولكنا إذا متنا بعثنــا ونُسـأل بعده عن كل شي

* * *

الفصل الثاني

الحجاب في الحديث النبوي الشريف

تقول الكاتبة:

(الحديث هو كل ما حُكِيَ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير، وقد جاء في القرآن الكريم:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

فالرسول مكلف بتبليغ الرسالة، وسنة رسول الله تبين للناس أحكام ربهم في كل الأمور، ولم يفكر أحد من المسلمين خلال القرن الهجري الأول على امتداده في جمع الحديث أو الاستيثاق منه ولا في تدوينه وجمعه في كتاب موحد كما فعلوا بالقرآن الكريم، والسبب لئلا ينشغل الناس بها عن القرآن.

وتقول:

ونشأ عن ذلك أن استباح قوم لأنفسهم أن يزيفوا أحاديث وينسبوها زورًا وبهتانًا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأول من دون الأحاديث كان ابن شهاب الزهري..

** ونقول للكاتبة ليس الزهري أول من دون الأحاديث؛ بل أول من صنف الكتب الجامعة للأحاديث: سعيد بن أبي عروبة، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، والربيع بن صبيح، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، ومعمر بن راشد، والثوري، ومالك.

وتقول:

ثم كتب الإمام مالك بن انس كتابه الموطأ وقسمه على أبواب الفقه، أي باب في الصلاة، وباب في الصيام، وباب في الزكاة، ومن أشهر من جمع الأحاديث الإمام أحمد بن حنبل..

ثم جاءت الكتب الصِّحاح وهي الكتب التي حاول أصحابها تخليص الحديث الصحيح من غيره وهي ستة كتب: «البخاري ومسلم، وابن ماجة، وأبي داود، والترمذي، والنسائي»

وقد اكتسب كتاب البخاري شهرة ومكانة كبيرة في عصره وإلى يومنا هذا، ويليه صحيح مسلم..

ومن المجمع عليه أن السنة لا تفتئت على القرآن الكريم، ولا تعارضه ولا يؤخذ منها إلا ما يوافقه نصًا وروحًا.

* * *

وتقول:

(وفي مسألة الحجاب ينسب إلى عائشة رضي الله عنها حديث يقول:

«إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليها ثياب رقيقة - شفافة - فقال لها: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى الوجه والكفين» ذكره أبو داود (في أوائل القرن الثالث الهجري)

وقال عنه خالد بن دريك: هذا حديث مرسل أي يسند إلى أحد التابعين ولم يدرك عائشة، ولم يرد هذا الحديث في البخاري ولا في مسلم، ولا مسند ابن حنبل ولا بقية الصحاح)

* * *

** الكاتبة ذكرت أبا داود ضمن الكتب الصحاح الستة، ورغم ذلك فهي تستشهد بضعف هذا الحديث حتى تقول: إنه لا حديث يأمر بتغطية سائر جسد المرأة عدا الوجه والكفين، وما دامت السنة لا تفتئت على القرآن الكريم، ولا تعارضه ولا يؤخذ منها إلا ما يوافقه نصًا وروحًا، وما دام هناك آية تأمر بضرب الخمار على الجيب فكيف يكون الزي إذن..؟!!

في هذه الحالة ليس أمامنا إلا أن نأخذ برأي المتشددين الذين يضعفون هذا الحديث، ليثبتوا وجوب النقاب وذلك لقوله تعالى في

وضوح وصراحة:

«وليضربن بخمُرهن على جيوبهن»

«أن يدنين عليهن من جلابيبهن»

** فليس أمامهم ولا أمامنا إلا هذا، والحديث ما هو إلا شارح للنص القرآني، ونص القرآن الكريم يذكر الخمار وهو غطاء الرأس، ويذكر الجلباب وهو كساء البدن، فماذا نفعل في هاتين الآيتين إذا كان حديث إبداء الوجه والكفين ضعيفًا، إذن فلا بُد من تغطية الوجه والكفين مع سائر البدن، وهذا بالطبع ليس في صالح الكاتبة ولا من ينادون بالسفور..!! إذن فلنقبل بالحديث.

وتقول:

(وهناك حديثان آخران يجيزان الكشف عن نصف الذراع:

حديث قتادة لابن جرير الطبري: قال (صلى الله عليه وسلم):

«لا يحل لامرأة تؤمن بالله وباليوم الآخر أن تخرج يدها إلا إلى هنا، وقبض (صلى الله عليه وسلم) على نصف ذراعه»

وحديث ابن جريج عن عائشة: قال (صلى الله عليه وسلم):

«إذا عركت المرأة (أي بلغت الحلم) لها أن لا تظهر إلا وجهها، وما دون هذا وقبض على نصف ذراع نفسه»

وقد أخذ المالكية بهذه الأحاديث ورفضوا تضعيفها، إلا أنهم أوردوها كدليل على اعتبار الشعر ونصف الذراع، ونصف الساق من العورات المخففة)

* * *

** لست هنا في مجال تحقيق الأحاديث؛ ولكن في مجال التسليم جدلاً، ونقول إذن فهي من العورات..!! مخففة مغلظة هي عورات، أما الذين يجيزون الوجه والكفين، فيقولون إنهما ليسا بعورة.

وسؤالي لماذا كل هذه الحرب حتى تظهر المرأة شعرها ونصف الذراع، ونصف الساق وهي الآن تظهر البطن والسرة.. أليس هذا يدعو للدهشة.. وأولى بالجدل..؟!!

وتقول:

(وثمة حديث ثالث عن ابن الأثير أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال لامرأة منتقبة جاءته تصيح: يا رسول الله النار.. النار.. فقال لها: «يا أمة الله أسفري فإن الإسفار من الإسلام والنقاب من الفجور»

وذكرت مصدره وهو الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر الجزء الثامن الخاص بالصحابيات).

* * *

** حسنّ – وعلى اعتبار صحة هذا الحديث – هل معنى أسفري يعني عن الوجه أم عن الشعر..؟!!

وإن قال لها فإن الإسفار من الإسلام، فلا يمكن.. لا يمكن أن يقول والنقاب من الفجور بالمنطق العقلي، ولن أزيد على رأي

الكاتبة التي أوردته بنفسها بعد ذلك، وكأنه شهد شاهد على نفسه حيث قالت:

(والحديثان المنسوبان لعائشة رضي الله عنها من أحاديث الآحاد التي لا يؤخذ بها في الأمور العقائدية، أي لا تعتبر فرضًا دينيًا لأن الفرض الديني هو ما جاء فيه حكم صريح قطعي لا تشابه فيه في القرآن الكريم، أو في السنة المتواترة، كما أنهما يتناقضان، فأحدهما يجيز كشف الوجه والكفين فقط، بينما الثاني يحلل كشف نصف الذراع، والحديث الأول جاء في صيغة الصلاح والثاني يحل ويحرم).

* * *

** فعلاً لا تعليق، فكما قلت قبلاً: شهدت على نفسها، لأن الفرض الديني هو ما جاء فيه حكم صريح قطعي الدلالة والثبوت لا تشابه فيه في القرآن الكريم أو في السنة المتواترة، وقد جاء القرآن الكريم بحكم صريح قطعي الدلالة والثبوت: «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» فلماذا الجدل؟!!

وتقول:

(وهناك حديث رابع يقول:

«لا تقبل صلاة الحائض - المرأة البالغ - إلا بخمار»

(أخرجه أبو داود وابن حنبل والترمذي وابن ماجة) ويرى البعض أن هذا الحديث يضعف الحديثين السابقين:

وتعلق:

(فلو أن الأصل أن تضع المرأة غطاءً على رأسها عمومًا، لما كانت ثمة وصية ولا مناسبة لأن يطلب منها وضع خمار على رأسها أثناء الصلاة، فحديث الخمار يفيد أن المرأة لم تكن دائمًا وأصلاً تضعه على رأسها، كما أن الحديث يوصي بأن تضع خمارًا على رأسها لتغطي شعرها وقت الصلاة فقط، وأوردت المصدر وهو (المستشار سعيد العشماوي)

* * *

** ونقول للكاتبة وللمستشار بأن المرأة لا تضع الخمار إلا أمام الغرباء من غير المحارم، أما في بيتها فهي كاشفة لشعرها وبعض جسدها، أي مظهرة لأكثر من الذراعين والساقين، فالمرأة تؤمر بالحجاب إذا خرجت من منزلها أو وهي في منزلها إذا حضر غير ذي محرم، فقد ذهبت المرأة الأنصارية الحرة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) تقول:

«يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع، فنزلت الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧).

فالحجاب (ونقصد به الخمار والجلباب) هو ستر النساء على غير المحارم حتى من الأهل، وفي داخل البيوت، وعلى ذلك فالحديث:

«لا تقبل صلاة المرأة إلا بخمار» جاء حتى لا تظن المرأة أنها ما دامت في بيتها وفي غرفتها، ولم يرها أحد وهي تصلي فيمكن لها أن تصلي بغير خمار.

** وتبعًا لهذه النظرية فما القول في حديث يقول لا يجوز تغطية وجه المرأة حالة الطواف بالبيت، فلو أن الأصل أن تكشف المرأة عن وجهها عمومًا، لما كانت ثمة وصية، ولا مناسبة لأن يطلب منها كشف وجهها أثناء الطواف، فحديث الطواف يفيد أن المرأة دائمًا تغطي وجهها وتكشفه فقط في الطواف!! هه ما رأيك..؟

** أما أحاديث مثل قوله (صلى الله عليه وسلم):

«كل ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة»

وقوله (صلى الله عليه وسلم):

«أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس»

وقوله (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله يحب من عبده إذا خرج لإخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل»

فهي أحاديث لا دليل فيها على الخروج على حدود الحشمة والتستر.

** ومن الأقوال التي قيلت في الغرض من احتشام المرأة:

«يشترط في ملابس المرأة ألا تكون واصفة لمحاسن جسمها ولا كاشفة، ومقصد الإسلام من احتشام المرأة أن يقيد حركتها في السفور وهي شابة وجميلة حتى يؤمن شيخوختها وهي غير جميلة»

** وهل يجوز أن نهجر النص من القرآن والسنة والعمل بغيره من قياس ورأي.. ومن المجمع عليه أن السنة لا تفتئت على القرآن الكريم، ولا تعارضه ولا يؤخذ منها إلا ما يوافقه نصًا وروحًا)

قال الفقهاء:

«أمرُ المرأة مبنيّ على الستر» فإذا تعددت الاجتهادات يؤخذ ما كان أكثر تحقيقًا لمقاصد الشريعة وأهدافها العامة، ولا يجوز أن يؤخذ منها ما وافق عمل الناس.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾

(نوح: ١٣/١٤)

* * *

الفصل الثالث

خلفية تاريخية

هل بعدما تأكدنا من القرآن والسنة بضرورة الخمار، نحتاج إلى الرجوع للتاريخ، لنعرف منه قصة الخمار مهما كانت القصة؟!!

ورغم أن الإسلام يجُب ما قبله، وهو الذي نؤرخ من عنده لعقيدتنا، ولكن الكاتبة تميل إلى التشويق وإرجاع الأمور إلى تطورها التاريخي.. فليكن، كي نجاري كل العقول التي تؤمن بالتطور التاريخي، والتي تمتثل لأمر ربها دون قيد أو شرط.

وفي هذا الباب الذي هو الأول في الكتاب (الحجاب رؤية عصرية)

تقول الكاتبة:

(خمسون عامًا منذ منتصف العشرينيات حتى منتصف السبعينيات من القرن العشرين، تخلصت فيها المرأة العربية من الحجاب، واختفى تقريبًا من مدن مصر والشام والعراق وبعض مدن المغرب العربي، وكان في طريقه إلى التلاشي تمامًا من بقية المدن

العربية إلى أن وقعت نكسة ١٩٦٧م وانهزمت الجيوش العربية للمرة الثالثة، أمام الجيش الإسرائيلي، وبدأ العرب يراجعون أنفسهم.. وروَّج بعض الدعاة فكرة أن المسلمين هزموا لأنهم تخلوا عن دينهم، وتخلت نساؤهم عن الحجاب، وقلدن النساء الغربيات في المطالبة بحقوقهن والخروج إلى الحياة العلمية.. الخ)

* * *

** نستوعب هذا الكلام جملةً جملة: اختفى الحجاب تقريبًا وليس تمامًا، وليس من كل العالم الإسلامي بل بعضه، وخمسون عامًا فقط من عمر الإسلام ١٤٢٧ عامًا ليست بالزمن الطويل، وخلال الخمسين عامًا انهزمت الجيوش العربية أمام اليهود ثلاث مرات، فماذا ننتظر بعد ثلاث مرات؟ ألا يحق لنا أن نبحث عن الأسباب؟ وماذا يقول المهزوم والذي هو في ضيق وكرب سوى يا رب، وهل يقول يا رب باللسان وكفى أم بتعديل أحواله..؟!!

** وليست القضية فقط في تخلي المرأة عن حشمتها، ولكن فيما يصحبه من تخلي الرجل عن الغيرة المحمودة وعن كرامته، وبالتالي فقدا معًا الحياء، فترك امرأته مكشوفة أمام الغرباء، فماذا حدث في الخمسين سنة هذه التي يتحسر عليها دُعاة كشف الشعر..!! حدث الآتي:

لم يقتصر الأمر على كشف المرأة لشعرها؛ بل تبعه كشف لمساحات كثيرة من جسدها، اتسعت فتحة الصدر، وارتفع ذيل

الفستان لنصف الفخذ، وظهر ما سُمي بالميني وما يعرف بالميكرو، وطار الكُمّان، ولبست الشورت، والبكيني وبدلة الرقص، وتبلدت مشاعر الرجل وفقد الإحساس بالغيرة على عرضه، بل تشرف وتباهى بنسائه العاريات في المحافل، وتبودلت الزوجات والأزواج في الحفلات الراقصة، وأصبحت (المرأة عارية) أي يعيرها زوجها لصديقه فهي عارية-عارية.. الخمار فقط يمنع كل هذا.

وتقول:

(وللأسباب السابقة روع المجتمع المصري في بداية السبعينيات بأول جريمة إرهابية ارتكبتها جماعة شكري مصطفى عضو جماعة الإخوان، والذي اعتقل عام ١٩٦٥م، وبعد خروجه من السجن شكل جماعة من الشبان يحملون فكرًا دينيًا متطرفًا واقتحموا الكلية الفنية العسكرية المصرية، رافعين شعارات دينية وقتلوا عددًا من طلبتها)

* * *

**أليس هذا التطرف هو التضاد للتطرف في التسيب والإباحية، ألم ندرس نظرية:

«لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة مضاد له في الاتجاه»

وتقول:

(ومنذ ذلك التاريخ بدأت موجة من الجرائم الإرهابية في أنحاء مصر ترتكب باسم الدين، وتزامنت معها موجة أخرى من الهجوم على المرأة شنها بعض أئمة المساجد من فوق المنابر، وعلى أشرطة الكاسيت، ورددها آخرون في البرلمان، وعلى صفحات الجرائد والمجلات والكتب وفي البرامج الدينية، في الإذاعة والتليفزيون، وأشاعوا أن سفور المرأة وخروجها إلى العمل ومخالطتها للرجل كان واحدًا من أهم الأسباب وراء الهزيمة).

* * *

** الحمد لله أنهم أئمة المساجد والدعاة ودارسو الدين، ومن ينتقد هؤلاء.

وآخرون في البرلمان، وعلى صفحات الجرائد والمجلات، فهي وسائلنا الثقافية، وبرامجنا الدينية أهم مصادر التوعية.

وفي الإذاعة والتليفزيون، أي أنها القوة المستنيرة في المجتمع.

ماذا بعدها..؟!

وتقول:

(كان الشباب العربي ثائرًا على الأوضاع السياسية المتردية في كل البلاد العربية، وغياب الديمقراطية، وتسلط الحكام العرب واستبدادهم بالشعوب العربية في الوقت الذي يتخاذلون فيه عن مواجهة العدو الأول للأمة العربية: دولة إسرائيل، ولم تجد

زعامات الشباب من متنفس لغضبها، ووسيلة للتعبير عن وجودها وإعلان تمردها، إلى جانب الجرائم الإرهابية، سوى فتيات المدارس الثانوية والجامعات اللاتي انضممن إليهم لأسباب سياسية وعاطفية، ويصاب المجتمع المصري بصدمة عندما تعلن بعض الطالبات في كليتي الطب والهندسة، عن عدم رغبتهن في استكمال التعليم بدعوى أن تعليم البنت حرام في الإسلام، وأن مهمة المرأة الأساسية في الحياة هي الزواج والإنجاب وطاعة الزوج ورعاية الأسرة» ويظهر الحجاب على رؤوس عشرات الطالبات ثم ينتشر بسرعة بين الفتيات من سن الخامسة عشرة إلى العشرين، ليبدأ في الانتشار بعد مقاومة ضعيفة بين أمهاتهن، والمدرسات ثم موظفات الحكومة، ثم ينتقل إلي باقي الفئات والطبقات.

وأصبح غطاء الرأس والحجاب والخمار والنقاب ألوية ترفعها الجماعات الإرهابية المتطرفة على رؤوس النساء، كدليل على انتشارها وتمكنها من الاستيلاء على عقول الشباب).

* * *

** وشهد شاهد على نفسه مرة أخرى، إذن فالجرائم الإرهابية كانت لغياب الديمقراطية، وتسلط الحكام العرب وتقاعسهم في مواجهة العدو الأول للأمة العربية، إذن فهناك أسباب لصحوة المارد والتفكير في تصحيح الأوضاع، فهذا هو حال المرأة؛ انحلال وتسيب، وهذا هو حال الحكام؛ تخاذل وضعف، وهذا هو حال الحرب هزيمة ثلاث مرات أما فتيات المدارس الثانوية، والجامعات

فانضممن إليهم بكامل وعيهن، لأنهن ببساطة طالبات ثانوية، وجامعات، ولسن جاهلات مغيبات، وأصيب المجتمع المصري بفرحة لا بصدمة عندما التزمت بعض طالبات كليتي القمة الطب والهندسة، بتعاليم الإسلام، ويظهر الحجاب على رؤوسهن، ومن غير هؤلاء المتفوقات الذكيات يكن أسرع في الفهم ومعرفة الحق، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨)

* * *

** ونلاحظ جملة مقاومة ضعيفة؛ لأن الحق لا يقف ضده إلا كل مكابر، فالأم تخشى على ابنتها من شيء غير منتشر، وفي الوقت نفسه تعلم أنه الحق، فتقول لابنتها على استحياء ليس له من داع الآن، فإذا صممت البنت تركتها..

وبدلاً من أن يصاب المجتمع المصري بصدمة عندما تعلن بعض طالبات الجامعات عن عدم رغبتهن في استكمال التعليم يتأمل الظاهرة ويتدارك أسبابها، فهذا هو المجتمع مهلهل مهزوم، والديمقراطية غائبة، والحكام العرب متسلطون ومتقاعسون، وهن بنات ليس لهن قدوة ولا مثل، وهن طالبات كليتي الطب والهندسة، ليس لديهن جدل ولا رياء، وهن العقول الذكية المتفوقة فكان من الطبيعي أن يسارعن بالعودة إلى جادة الطريق!!

أما عن تركهن للتعليم فيرجع للنظرية سابقة الذكر «لكل فعل رد فعل مساو له في القوة مضاد له في الاتجاه»

** ولقد كرَّم الله المرأةً بغطاء الرأس، وهو فعلاً لواء ترفعه على رأسها، حتى يكون المؤمنون كالشامة في الناس.

** أما البعض منهن اللاتي قلن بأن التعليم حرام؛ فهي وجهة نظر البعض لا الكل. فالبنت اليوم تصر على التعليم، وعلى العمل كما تصر على الحجاب والحشمة.. أما كونه انتشر بسرعة بين الفتيات فالله أكبر، وهو غالب على أمره.

* * *

الفصل الرابع

الحجاب في التاريخ

(وهذا الفصل هو الفصل الثاني في كتاب «الحجاب رؤية عصرية» وفيه تقول الكاتبة:

(كان الآشوريون (في العراق) أول من فرض الخمار على النساء في التاريخ القديم (قبل الميلاد). وكانوا قومًا يتسمون بالغلظة ويعاملون نساءهم بجفاء، وقد شنوا حروبًا عديدة على جيرانهم واسترقوا أعدادًا هائلة من النساء والرجال، وكانوا يسخرون الرجال لخدمتهم ويستبيحون النساء لمتعتهم الشخصية. لذلك كان من الضروري تمييز الحرائر عن الأرقاء)

* * *

** كم هو إعجابي بجملة قبل الميلاد، ألا تدل هذه الجملة على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وإذا كانت الأمم السابقة قد أجمعت على احتشام المرأة؛ فهل أتى ذلك من فراغ، وبدلاً من أن نقول قوة الرجل وسيطرته واعتبار المرأة من أسلابه وغنائمه نقول مسئولية الرجل نحو المرأة، وإذا سألنا عن مصدر هذه المسئولية

ونحن قبل الميلاد نجد قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة:٣١)

* * *

وتكمل الكاتبة كلامها قائلة:

(وفي إحدى اللوحات الطينية في مدينة آشور القديمة أحكام خاصة بحجاب النساء، جاء في مقدمتها:

(لا زوجات الرجال ولا الأرامل ولا النساء الآشوريات اللاتي يخرجن إلى الطريق يمكنهن ترك رؤوسهن مكشوفة.. بنات الرجل سواء (ارتدين) شالاً أم جلبابًا أم عباءةً لا ينبغي لهن ترك رؤوسهن مكشوفة.. السرية التي تخرج إلى الطريق مع سيدتها، يجب أن تحجب نفسها.. العاهرة المقدسة التي تزوجها رجل، يجب أن تحجب نفسها في الطريق، المومس يجب ألا تحجب نفسها ويجب أن يكون رأسها مكشوفًا)

* * *

** فلنقرأ هذه الوصايا بعين محايدة لنستشف منها الروح الربانية.. أليست هذه قوانين العفة ومسئولية الرجل تجاه المرأة، وهذه هي آداب الطريق، ولا يمكن أن تقبلها المرأة وتعمل بها إلا لأنها توافق فطرتها السليمة وطبيعتها الحرة.

وتقول:

(وقد وصل الحرص على التفرقة بين الحرائر والإماء، إلى حد توقيع عقوبات قاسية، على من يرى أمة أو عاهرة محجبة في الطريق ، ولا يقوم بتقديمها إلى القصر لتلقى جزاءها..)

* * *

وتقول:

(وكان قدماء المصريين يؤمنون بأن الشعر هو مظهر القوة، لذا كان الكهنة يحلقون شعور رؤوسهم وكانت المرأة المصرية ترتدي الباروكة كغطاء للرأس والزينة، وكانت النساء اليهوديات يقلدن سيداتهن، ثم أصبح (الخمار) مفروضًا على اليهوديات، وقد ذكر في أكثر من موضع في العهد القديم:

(ورفعت رفقة عينيها فرأت اسحق فنزلت عن الجمل، وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا.؟ فقال العبد هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت)

(سفر التكوين الإصحاح ٢٤ من العهد القديم، التوراة)

وتقول:

وفي المسيحية ذكر غطاء الرأس في العهد الجديد (الإنجيل):

(وكل امرأة تصلي أو تتنبأ (تفسر أو تستخرج المعاني) وليس على رأسها غطاء تجلب العار على رأسها، لأن كشف الغطاء كحلق الرأس تمامًا، فإذا كانت المرأة لا تغطي رأسها، فليقص

شعرها)

(العهد الجديد سفر كورنثوس الأول إصحاح ١١)

* * *

** الكاتبة تتبع أسلوب (إبطال الحجة). فالمفروض أننا نحن الذين نؤيد الحجاب أو الخمار أو غطاء الرأس أن نأتي بهذه النصوص كدليل على أن شرع الله واحد في كل الأديان، وأن الخمار أو غطاء الرأس موجود في المسيحية وفي اليهودية وموجود قبل الميلاد قبل أن يوجد في الإسلام، حيث إن كل هذه الأمم اتفقت على احتشام المرأة.. وهي أيضًا دليل الفطرة السليمة، حيث وصف الله سبحانه وتعالى آدم وحواء لما أكلا من الشجرة المحرمة وبدت لهما سوءاتهما: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ (الأعراف:٢٢)

ولكنها تسوقها على أنها من العادات وجاءت هي لتبطل العادات.

* * *

وما زالت تقول:

(وعندما سيطر الفرس على بلاد ما بين النهرين اقتبسوا هذه العادة من الآشوريين، وانتقلت منهم إلى بلاد الشام وبعض المدن

العربية شمال جزيرة العرب قبل الإسلام – نقلا عن قصة السفور والنقاب د. محمود سلام زناتي – بعد ذلك انتشر الخمار أو البرقع بين نساء بيزنطة وفارس وطروادة وإسبرطة وغيرها من الممالك والحضارات القديمة، وعندما فتح المسلمون بلاد فارس (إيران حاليًا) وجدوا النساء معزولات عن الرجال داخل (الحريم) ووجدوا الحرائر من النساء يرفضن الظهور أمام الرجال، فأعجبتهم الفكرة واقتبسوها، وأطلقوا على معتقل النساء (الحريم).

* * *

** نلاحظ كلمة اقتباس الفرس هذه العادة من الآشوريين، وهل تقتبس أمة إلا ما تراه صالحًا لها، وانتقلت منهم إلى بلاد الشام وبعض المدن العربية شمال جزيرة العرب قبل الإسلام لنفس الغرض، وانتشر الخمار أو البرقع بين نساء بيزنطة وفارس وطروادة وإسبرطة وغيرها من الممالك والحضارات القديمة.. سبحان الله كل هؤلاء على خطأ..!!

وأطلقوا على معتقل النساء (الحريم) أنت تسمينه معتقل النساء، والحقيقة هو مملكة ترى منها المرأة كل شيء من خلال المشربية ولا يراها أحد.

* * *

**والسؤال هل الحجاب الذي يُفرض على المراة هو حرمان للمرأة أم حرمان للرجل..؟!!

الحقيقة هو حرمان للرجل؛ حيث إن المرأة يمكنها أن ترى الرجل من خلال خمارها أو حتى نقابها، وتشهد مجتمعات الرجال من خصائص نافذتها، ويتم ذلك الأمر بعلم الرجال وليس خلسة، دون أن يراها الرجال من غير المحارم، ولو حاول أحدهم التطفل على مجتمع الحريم، حوكم وعُذب بالحبس أو الجلد.

وتسترسل:

(وقد فرض اليونانيون على نسائهم الاحتجاب والنقاب منذ القرن الخامس قبل الميلاد وكانت نساء طيبة (اليونانية) يتنقبن فلا يرى سوى العينين، وكان بعض الأزواج يضعون أختامهم على أبواب دورهم إذا غابوا)

(وقد اتسم المجتمع اليوناني القديم بتقليل شأن المرأة وازدرائها والحض على تجنبها، وساد هذا الفكر في نظريات فلاسفة اليونان القدماء وأقوالهم أمثال أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس، وعن هؤلاء تنقل أغلب العبارات التي تزدري المرأة وتتحدث عن نقائصها، وتدعو إلى عدم الثقة بها والابتعاد عنها وحبسها داخل دارها.. الخ، وقد انتقل هذا الموقف منهم إلى العلماء المسلمين).

* * *

** أرأيت كم نحن في حاجة لأن ننتسب إلى الدين الإسلامي، الدين الذي كرَّم المرأة وأعزها، فإما أن أقول أنا مسلمة وقد منحني ديني حريتي وصانني عن العيون التي تنهش جسدي، وجعل لي الحق في اختيار شريك حياتي والحق في خلعه، وقد فرض لي نصيبًا من الميراث وجعل لي ذمة مالية مستقلة عنه، ومنحني الحق في مزاولة التجارة واستئجار الرجال لها، وغيرها من الأشياء التي تعز المرأة وتصون كرامتها في ذات الوقت، وإما أن نترك لمنطق الرجل الذي يعتبر المرأة شيئًا قليل الشأن، يستحق أن يضع الأزواج أختامهم على أبواب دورهم إذا غابوا، أو أن يفرض عليها الخمار بالصورة التي يراها هو من (قبل الميلاد) كما فعل الآشوريون، واقتبس الفرس هذه العادة ثم اليونان، هذه المرة لن أقول هي الفطرة، ولكن أقول: خيرٌ لي أن يفرض ربي عليَّ أن أغطي رأسي وأتزيا بالحشمة والوقار فأتبعه، على أن يفرض ذلك وأكثر عليَّ رجال أي زمن من الأزمنة، فأطيع صاغرة مغلوبة على أمري.

** فإذا كان هذا هو شأن الرجال مع النساء من قبل الميلاد، فخير لي أن ألبس خماري طاعة لله لا قهرًا من رجل!!

** أما عن جملة «وقد انتقل هذا الموقف منهم إلى العلماء المسلمين» فغير صحيح، فالعلماء المسلمون ينقلون عن الإسلام وعن أمر دينهم وربهم، ويكفي أنه إذا غالى أحدهم في تقييد حرية المرأة أو انتقاص شأنها أو حق من حقوقها تبعا للنعرة الرجولية أن تقول له المرأة: إن الله لم يقل بهذا الأمر فيتراجع على الفور:

«أصابت امرأة وأخطأ عمر»

** وكيف نتهم عبد الله بن المقفع (الفارسي) بأنه أول من دعا إلى حجاب المرأة ونشره بين رجال عصره، وقد كان ذلك في العصر العباسي، فإن كان دعا إلى الحجاب فقد دعا بدعوة الإسلام.

وتقول:

(وكانت النساء يغطين رؤوسهن بالخمار ليحمين أنفسهن من تقلبات الجو في الصحراء؛ كالرياح والأتربة والأمطار وأشعة شمس الصيف الحارقة، إلا أن هذا لم يمنعهن من الاختلاط بالرجال والمشاركة في الحياة العامة وكن يشاركن في الحروب والمعارك وفي أوقات السلم كن يفدن إلى أسواق الأدب، مثل سوق عكاظ. فيستمعن إلى الأشعار والخطب وينشدن أشعارهن ويتبادلن الحديث مع الشعراء.. الخ.

وقد استمر هذا الوضع بعد الإسلام. فعندما ذهبت النساء إلى الرسول ليبايعنه لم يشترط عليهن حجابًا ولا نقابًا)

* * *

** هل إذا لبست النساء الخمار ليحمين أنفسهن من تقلبات الجو وشمس الصيف الحارقة في الصحراء يكون هذا مباحًا، أما أن يلبسنه تلبية لقول الله تعالى واتقاء لنار جهنم الحارقة، فخطأ!!

وقد كان الرجال أيضًا يلفون رؤوسهم من تقلبات الجو وما زالوا يلفونها..!!

** واعترفت الكاتبة أن هذا لم يمنعهن من المشاركة في الحياة العامة في الحرب والمعارك وفي أسواق الأدب، فيستمعن إلى الأشعار والخطب وينشدن أشعارهن، ويتبادلن الحديث مع الشعراء، إذن فالحجاب ليس عائقًا وليس حجابًا على العقل بهذا المنطق.

** أما عندما ذهبت النساء إلى الرسول ليبايعنه؛ فلم يشترط عليهن حجابًا ولا نقابًا، لأنهن بالفعل يلبسن الخمار والجلابيب، وهل تجرؤ امرأة أن تذهب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) لتبايعه دون خمار بعد أن نزل قوله تعالى:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾

وتقول:

(وكانت النساء العربيات يزرن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويستفتينه في شتى الأمور وكان يزورهن في بيوتهن فيستقبلنه ومن معه ويكرمن وفادته، وكن يذهبن إلى المسجد للاستماع إلى خطبه وخطب الصحابة وللصلاة في أوقاتها حتى صلاة الفجر، وكان صوتهن يرتفع فيلقين الأسئلة على الرسول الكريم ويتلقين العلم ويجادلنه ويعترضن على ما يقوله الصحابة)

* * *

** إذن فليس ثمة عيب لا في الإسلام ولا في احتشام المرأة، فقد كن يزرن الرسول ويزورهن، ويشهدن الصلاة في المسجد حتى صلاة الفجر، وكان صوتهن يرتفع يسألن ويجادلن.. أين هذا من حبس المرأة ووأدها ووضع الأقفال عليها ووضع الأزواج أختامهم على أبواب دورهم إذا غابوا، أليس هذا تهذيبًا لعادات سيئة سابقة، هذه هي سماحة الإسلام الذي أنصف المرأة وجعلها شقيقة الرجل فصارت بالإسلام كيانًا متكاملاً لها نفس الحقوق والواجبات بل وزيادة.

ولم يمنعهن الرسول الكريم المبلغ لرسالة ربه من المشاركة في الغزوات ليس بالتمريض فقط، ولكن بالقتال بالسيف ورمي القوس، وبالمشورة وغيرها من الأمور، فخير لنا أن نتمسك بالإسلام والحرية التي منحها للمرأة، من أن نترك للرجال الفرصة يضعون علينا أقفالهم.

وللعلم أئمة الفقه أربعة هم: الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل، وممكن ابن حزم، وليس ابن المقفع ولا الجاحظ.

* * *

الفصل الخامس

الرق قبل وبعد الإسلام

وفي فصل ممتع عن الرق قبل وبعد الإسلام وبعد جولة ليست بالقصيرة عن حال العبيد والجواري والقيان.. استمتعت به أيما تمتع استخلصت قول الكاتبة:

(جاء الإسلام والرق واقع وعرف وأساس اقتصادي واجتماعي في العالم كله، فالإسلام لم يشرع الرق ولم يلغه، أو يحرمه بآية قرآنية صريحة، ولكنه أيضًا لم يتجاهله مثلما فعلت الأديان الأخرى.

وإنما حث على تصفيته تدريجيًا فجعل عتق رقبة (تحرير عبد أو أمة) كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة القتل الخطأ، وكفارة الإفطار المتعمد في نهار رمضان، وإذا رغب العبد في أن ينال حريته، فعلى سيدهِ أن يمنحها له مقابل بعض المال – المكاتبة –.

وتنال الجارية حريتها إذا ولدت لسيدها، هي وكل من تأتي بهم من بنات أو بنين (المستولدة).

كما خصص الإسلام جزءًا من مال الزكاة لعتق الرقاب).

الله على عظمة الإسلام.

وتقول:

(ومسألة الرق مثلها مثل تعدد الزوجات والخمر والميسر، وكذلك الحجاب، كلها كانت موجودة قبل الإسلام وتقررت حكمة الخالق عز وجل في أن يتدرج المسلمون في اجتنابها حتى تتلاشى تلقائيًا مع التطور الاجتماعي.

وفي القرآن نصوص صريحة تحرم العديد من الأمور، أما الرق فلم يحرم بنص صريح، وكان من المفروض أن يتلاشى تمامًا من بلاد المسلمين ولكنهم تشبثوا به وتحايلوا على التشريعات الإلهية فظل ساريًا.. حتى أرغموا قسرًا على إلغائه بواسطة الحكومات الغربية المسيحية).

* * *

وأقول:

* لم يلغ الإسلام الرق بآية صريحة؛ رغم كل التضييقات لحكمة عظيمة وجلية، وهي أن ظروف المجتمعات تتغير فقد تُغير دولة على أخرى فيفر الآلاف من الناس فماذا يُفعل بهؤلاء غير الاسترقاق.

وهذا الاسترقاق هو قمة الإنسانية، إذ ونحن في القرن الواحد والعشرين نرى عددًا هائلاً من الروسيات يأتين من بلادهن بغرض العمل في الدعارة، بل إن الحكومات الغربية التي ألغت الرق هي التي تستورد هؤلاء الروسيات للعمل في البغاء، أما الرجال

منهم من يتصدروا الصفوف الأولى في القتال ليموتوا، فهل تصبح جارية لسيدٍ واحدٍ، أم تصبح محترفة للبغاء؟!!

بالله قولوا يا من تستبدلون بشرع الله شرع الغرب..!!

** أما القول بأن مسألة الرق مثلها مثل تعدد الزوجات والخمر والميسر، وكذلك الحجاب، فهذا غير منطقي على الإطلاق.

فالرق وضعت له كل الأسباب السابق ذكرها للعتق، وتعدد الزوجات قنن وحُدد بآية صريحة، أما الخمر فحُرم تحريمًا قطعيًا، وكذلك الميسر، أما الحجاب فجاء في آية صريحة تأمر بلفه على الرقبة وتغطية فتحة الصدر ولم تقم آية أخرى بإلغائه.

فحجاب المرأة من العبادات ومن الطاعات، ومن الفضائل، أما أن يسري على الحجاب ما سرى على الرق بأن يُلغى بواسطة الحكومات الغربية، فهذا خرق صريح لنص صريح.

* * *

والحجاب لا يخضع للتغيرات البيئية لأكثر من سبب.

أولاً: به نص صريح.

ثانيًا: من المستحبات على مدى العصور وعند جميع الدول والحضارات.

ثالثًا: ليس بعائق، فالتي تلبس خمارًا تستطيع أن تحرك رأسها يمنة ويسرة، وتستطيع أن تذهب لتحصيل العلم، وأن تقود السيارة، وتستطيع أن تذهب إلى محل عملها إذا أرادت أن تعمل.

وتقول الكاتبة:

(أصبح الرق اليوم ممنوعًا باتفاقية دولية التزمت بها كل دول العالم، وقد عفى الزمن عليه وتخطاه، فلماذا لا يسري نفس الحكم على حجاب المرأة.. ولا يوجد عقاب شرعي صريح على من تتركه..!! وتضيف في هامش الفصل:

لا توجد آية تخص شعر المرأة أو تعتبره عورة، ولا يوجد عقاب في القرآن الكريم على السفور)

* * *

قلنا

** إن الرق عاد للظهور؛ لأن الله وضع له ضوابط تحد منه ولم يلغه صراحة، ولا تسري القوانين الغربية على الحجاب، لأنه أمر صريح ولم يأت نص بإلغائه، أما أنه لا توجد آية تخص شعر المرأة فغير صحيح، فالآية تفرض أن الشعر عليه خمار، والآية تقول بخمرهن أي بغطاء رؤوسهن، وبذلك توفر الدليل على تغطية الشعر، وما دامت السورة التي تأمر بالخمار تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾ (الأحزاب: ٣٦)

والضلال هو الخسران والعياذ بالله، وهو جزاء من يعصي الله ورسوله.

﴿إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (الجن:٢٣)

** فماذا تريدين عقابًا لعصيان الله ورسوله أكثر من الخلود في نار جهنم، ومن هم الذين ضلوا..؟

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (الكهف:١٠٤)

أي أن عقوبة التي تظهر شعرها هي عقوبة الضالين، وهم من قال فيهم ربنا تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً(١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً(١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً(١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٦)

** يظل الإنسان يسعى في هذه الدنيا ويكافح ويتعب وينادي بمبادئ خاطئة، وهو يظن أنه يحسن صنعًا ثم يفاجأ والعياذ بالله بأنه من الأخسرين أعمالا.

*■ وهل هناك خسارة أكثر من تضييع الوقت في إقناع المحتشمة بالتبرج، وها هو الرجل يلبس فوق رأسه العمامة والطاقية والبرنيطة، أما الرجل السعودي والخليجي وحتى الآن يغطي رأسه بالغترة والعقال، ولم نجد الاعتراضات التي نجدها على إيشارب المرأة، ولم تهب الدعوات التي تنادي الرجل العربي بخلع غطاء رأسه..!! وإذا تساءلنا لماذا.. سنفهم.

الإجابة واضحة.

** المرأة هي التي يجب أن تخترق، وتتخلى عن التزامها مع ربها، المرأة هي المقصودة بالتخريب، لكي تنهار الأسرة المسلمة، وبالتالي يتفكك المجتمع.. لماذا؟

لأن غترة الرجل من العُرف والعادات يلبسها بمزاجه وليس بأمر ديني، أما خمار المرأة فمن العبادات والطاعات، فيصنع الغرب للرجل غطاء رأسه بنفسه ويبيعه له، ويرفع عن المرأة غطاء رأسها، وللأسف الشديد يتم هذا الاختراق عن طريق أناس من المسلمين الله أعلم بنياتهم.

** وإذا كان الحجاب من المتشابهات - وهذا غير صحيح- فالحديث الشريف يقول:

«دع ما يريبك لما لا يريبك» فما بالنا إذا جاء بنص واضح صريح بصيغة الأمر.. نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لمرضاته ولا تجعلنا يا رب من الأخسرين أعمالا.

الفصل السادس

الحجاب والهوية الإسلامية

تقول الكاتبة:

(ويرى المؤيدون للحجاب أن الخمار رمز للهوية الإسلامية، وأن المسلمة الصالحة المعتدَّة بدينها عليها أن ترتديه حتى تتميز عن الأخريات.. ومثل هذا التفسير يستدعي من غير المسلمين أن يتساءلوا: لأي سبب يجب تتميز المسلمات في عصرنا هذا عن غير المسلمات؟!)

* * *

** أقر وأعترف بأنني لأول مرة أعرف السبب الذي يقلق البلاد المتحضرة، التي صعدت إلى القمر وأمدت العالم بالتكنولوجيا العالية، وصاحبة الثورة المعلوماتية. كيف بعد كل هذا التقدم تقلق من ارتداء المسلمة للخمار، وهو كما ذكرت الكاتبة تمييز للمسلمة عن غير المسلمة؟!

أما عن التساؤل؛ لأي سبب يجب أن تتميز المسلمات في عصرنا هذا عن غير المسلمات..؟! فأقول بكل ثقة:

لأننا خير أمة أخرجت للناس.. ولأننا أمة وسط لنكون شهداء على الناس.

ووالله لكم شعرت بالفخر الآن بعدما عرفت أن تميزي هذا يقلقهم، وقد أحسست بمدى ما يشعرون به من مهانة تجاه هذا التميز، وكما قلت من قبل، فالرجل الخليجي والسعودي يلبس الغترة ولم يشعروا تجاهه بما يشعرون به تجاه خمار المسلمة.

ثم هي تقول في إصرار على ما سبق وذكرته:

(لقد فرض الحجاب على المسلمات في زمن الفوضى الاجتماعية وغياب القوانين والشرطة والمحاكم.. وكتب المفسرون القدامى تذكر أنه نزل ليميز الحرائر عن الإماء، واليوم بعد أن انتظمت المجتمعات العصرية، وانتهى الرق تمامًا في كل بلاد العالم هل يعود الحجاب لأنه من المسموح به في المجتمعات الإسلامية هتك عرض غير المسلمات؟!)

* * *

** ما هذه الجملة التحريضية الساذجة، لم يكن مسموحًا في المجتمعات الإسلامية هتك عرض غير المسلمات أبدًا، ولا في أي وقت من الأوقات، ولا بسلب حقوقهن، وقد عشن في أمن وأمان بجوار المسلمين وفي حمايتهم والأمثلة على ذلك كثيرة، وهو ما

كان السبب في دخول الكثير منهم ومنهن في الإسلام، ولكني ما زلت استنكر جملة:

«انتظمت المجتمعات العصرية لوجود الشرطة والمحاكم، وانتهى الرق تمامًا في كل بلاد العالم»، وقد سبق الرد على هذه النقطة بأن وجود الشرطة والمحاكم لم يمنع جريمة العتبة والمعادي والأطفال في الحضانة، بل الذي يمنع كل هذا الوازع الديني.

** أما عن الرق فقد عاد على يد هؤلاء الفرنجة بفتح بيوت للدعارة واستجلابهن من روسيا وغيرها من البلاد المغلوبة على أمرها، وبعد أن نظمه الإسلام بما يُسمى ملك اليمين.

* * *

وتقول:

(والواقع أننا نجد في التاريخ ما يؤيد هذا الظن، ففي كتاب «رد المحتار على الدر المختار» لابن عابدين يقول:

«إن الأصل تمييز غير المسلمين عن المسلمين وإذا وجب التمييز، وجب أن يكون بما فيه ذل وصغار لهم كي لا يعامل غير المسلم معاملة المسلم في التوقير والتعظيم»

وسردت نصًا طويلاً يحكي تفاصيل التفرقة بين المسلم وغير المسلم إلى أن تقول:

ولا بُد أن المستشرقين قد اطلعوا عليها وترجموها ووجدها - من يعادي الإسلام منهم - ذريعة لتوجيه الاتهامات إلى المسلمين بأنهم يشيعون التمييز العنصري في مجتمعاتهم والإسلام بريء مما يفتريه المسلمون وأعداؤهم، ولدينا من النصوص ما يثبت ذلك، ويبرهن على تحضر الإسلام، وسبقه لكل العصور في المساواة بين البشر، حتى الذين يخالفونه منها.

ثم تستطرد:

كثيرًا من الآيات التي تحض المسلمين على احترام أهل الكتاب، وتدل على حسن معاملة غير المسلم، فضلاً عن أن الإيمان برسلهم أحد أركان الإسلام)

* * *

**جزاك الله خيرًا.. فما عساي أن أعلق فقد شهدت بالدليل.. وقد حث الإسلام على احترام أهل الكتاب وعلى تحضر الإسلام وسبقه لكل العصور في المساواة بين البشر، وليس من الضروري لتمام المساواة أن تعصي المرأة المسلمة أمرًا صريحًا بضرب الخمار على الجيوب، وأن تمشي سافرة متبرجة مثل أهل الكتاب ودينها الدين الخاتم الذي بعث للناس كافة.

فبدلاً من أن نحضرهم بتعاليم ديننا، نجد أنفسنا مطالبين باتباعهم حتى لا يشعروا بالمهانة لأن المرأة المسلمة متميزة بالخمار.

وتقول:

(لقد انقضى الزمن الذي يفيد فيه التمييز بالزي في منع الإيذاء عن المسلمات. وقد رأينا ربما جلب عليهن المشاكل عندما يدل على هويتهن؛ ففي لبنان اندلعت حرب أهلية في منتصف السبعينيات كانت النساء المحجبات معرضة للقتل بواسطة قناصي الميليشيات المسيحية (القتل بسبب الهوية) وفي البوسنة ارتكب الصرب جرائم الاغتصاب والتعذيب ضد المسلمات البوسنيات، وما زالت المسلمات اليوم في بداية القرن الحادي والعشرين من الفلسطينيات والشيشانيات والألبانيات والباكستانيات والهنديات وغيرهن يلاقين الأهوال من جنود الجيوش المتصارعة في عالم يموج بالمعارك الدينية)

* * *

** ها هي ذي قد اعترفتْ بأن المسلمات يلاقين الأهوال في عالم يموج بالمعارك الدينية، إذن فالدين هو الذي يحارب، في شخص من سيؤدون شعائره، والمسلمة إذا تركت الخمار فهي لا تزال مسلمة ومعروف هويتها، أم أن الكاتبة تريد من المسلمة أن تترك الخمار مع إعلان براءتها من الإسلام حتى لا تتعرض للإيذاء؟!

وهل إذا تركت المرأة المسلمة الخمار سيكف المستعمر أذاه عنها وعن دين الإسلام، وهو الذي يريد أن يفرض عاداته وتقاليده من الاعتراف بالشواذ، وحق الإجهاض، وهم الذين يريدون حذف بعض الآيات القرآنية واستبدال البعض، أي يكتبون كتابنا

بأيديهم كما حرفوا في كتبهم، وللأسف يتم ذلك بأيدي عملاء لهم من بيننا يحاربون الله ورسوله لفترة محدودة من الزمن هي مدة أعمارهم فيها، ثم ينقلبون إليه صاغرين خاسرين.

* * *

**وإذا كانت المرأة التي لا ترتدي الخمار تذبح على يد الجماعات المتطرفة، كما حدث في الجزائر، وتذبح إذن على يد الصليبيين، فما عساها أن تفعل برأيك؟!

أقول أنا..؟

تفعل ما أمرها به دينها لتنال ثواب الحُسنيين.

في كل عصر يجد القوي مبررًا للاعتداء والاغتصاب والسلب والنهب، فخير للمسلمة أن تضطهد بسبب تمسكها بدينها وإعلان هويتها، من أن تموت كما يموت البعير، وقتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، والفرق بين المسلم وغير المسلم هو الإيمان بالبعث.

وتقول:

(هل تستطيع قطعة نسيج أن تحمي شرف المرأة، وتجبرها على العفة..؟!)

** والله نعم.. نقول للكتابة إن قطعة النسيج منها البلوزة والتنورة والفستان والجلباب، فنحن نستر أجسادنا بقطع النسيج فنجعله كثيفًا في الشتاء خفيفًا في الصيف، مناسبًا في الربيع، فقط

وضعه على الرأس هو الذي يؤذينا، ويفعل كل هذه الأفاعيل، وأؤكد لك أن قطعة نسيج على الرأس تجبر المرأة فعلاً على التزام الوقار والحذر، وتجعل الذي في قلبه مرض يتردد ألف مرة ولا يجترئ إلا إذا أعطته الضوء الأخضر. فإن أخطأت كانت سريعة التوبة من أجل تلك القطعة، وإن أخطأت قال لها غيرها كيف تفعلين ذلك وأنت محجبة.. أليس هذا ما يقال؟

وتقول:

(والله تعالى لا يقيم الناس بمظهرهم الخارجي، أو صورهم، ولكن بما تحمله عقولهم وقلوبهم من أفكار ونوايا وبأفعالهم: وتستشهد بالآية الكريمة:

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر ٤٠)

***

** ولبس الخمار من أهم الأعمال الصالحة، مادامت النية هي الطاعة والامتثال لأمر الله ورسوله، وتجنب الفتنة والإيذاء.

وإذا كان الله تعالى لا يقيم الناس بمظهرهم الخارجي، ولكن بما تحمله عقولهم، فماذا يكون تقييمه للتي تكشف شعرها وتدعو الغير

لكشفه..!! الله يقيم الناس بمدى طاعتهم له والتزامهم بأوامره.

وتقول:

(والمفروض على المرأة المؤمنة أن تنأى بنفسها عن الإغراء بغض البصر وعدم التبرج وباللباس المحتشم الذي لا يلفت الأنظار وبالاستقامة، ولم تنس أن تبين معنى التبرج كما جاء في المصباح المنير: وهو الإفراط في إظهار الزينة والمحاسن للأجانب)

* * *

** بالله عليكم ألا يعد إظهار الشعر وصبغه وتصفيفه بما يليق مع الوجه ودكولتيه الفستان وصباغة الأظافر ولبس الإكسسوار للأجانب من غير المحارم من التبرج..!! وكيف تنأى بنفسها عن الإغراء وهذا هو حالها.

وتقول:

(إن العفة هي السلاح الحقيقي للمرأة ضد كل المغريات، خاصة في عصرنا الحاضر، وهي لا تفرض عليها بزي قد ترتديه مذعنة وتخفي تحته باطنًا قبيحًا، وإنما تنبع من أعماقها بالتنشئة الصحيحة، وبتعويدها على التقوى وتربية ضميرها (أي الخوف من الله السميع العليم بكل شيء)

* ■ *

** كم يخدمني كلامك في قضيتي، فعلاً العفة هي أفضل سلاح للمرأة ضد كل المغريات، وذلك بالتنشئة الصحيحة، الله كلام جميل، وبتعويدها الخوف من الله السميع العليم.. تمام، والخوف من الله لا يتأتى إلا بطاعته عز وجل في نص قوي الدلالة مثل: «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» هكذا بهذا الفعل الأمر!!

* * *

وتستشهد بالآية الكريمة:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(النور: ٦٠)

***

** وقد سبق وأن علقت على هذه الآية ولكن الجديد أنها تشرح في الهامش:

أن يضعن: أن يخففن، وامرأة واضع: أي خلعت خمارها)

** أليس خمارها هذا هو نقطة اختلافنا، وهو قطعة النسيج..!!

* * *

الفصل السابع

آراء مع الحجاب

وفي باب بعنوان آراء مع الحجاب، وهو فصل لا يزيد على ست عشرة صفحة تقول في البداية:

(أهم غرض يدفع به المؤيدون للحجاب هو حماية المرأة من الذئاب..)

ثم تستشهد بكتاب نشر منذ مائة عام عنوانه «الحجاب نعمة وأمل لا نقمة وألم» عن مقال للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي ضمنها كتابه العبرات، ومع ملاحظة أن المنفلوطي أديب وينظر إلى القضية من منظور اجتماعي، والمرأة في عصره كانت بالفعل كما يراها هو ضعيفة وساذجة، إذن فقد عبر بصدق عن مرحلته.

تقول:

(والمقال مكتوب على شكل صورة أدبية يسميها كاتبها قصة، وقد دعاه إلى ذلك ما لاحظه في زمانه من أن الذئاب البشرية قد خرجت من أوكارها وكشرت عن أنيابها، وبدأت دونما وعي أو ضمير تعبث بأعراض النسوة والفتيات)

خلاصة القصة (أن الأفضل والأكمل والأتقى للمرأة في الأزمان كلها هو سدلها حجابها كما أمرها ربها – عز شأنه – لكيلا تدع بديع صنع الله سبحانه نهبة لعيون أشباه الحيوانات، وعرضة لأنياب أمثال الوحوش.. وتنتهي حياة الشاب الذي أراد أن يحرر المرأة نهاية مأساوية، ويصف لنا المنفلوطي عذابه الشديد، ولكنه يحمد الله أن نجت الأمة بهلاكه).

ثم تقول متحدية المنفلوطي:

(فبعد سنوات قليلة من كتابته هذا المقال، خرجت الفتيات المصريات إلى المدارس والجامعات وأصبحت المرأة المصرية اليوم تتبوأ المناصب، وتخالط الرجال، بل وتترأسهم كوزيرة وسفيرة، وأستاذة جامعية وعميدة ورئيسة تحرير.. الخ).

ثم تنطلق متشفية في الرجل:

(وهل يتحتم علينا لكي نبرر عادة قديمة أن نهين كل آبائنا وأعمامنا وأخوالنا وأبنائنا.. ونؤكد على أنهم جميعًا سينقضون على أي امرأة يرونها في أي مكان فيهتكون عرضها ويغتصبونها.. هل من أجل حفنة من المستهترين الفاسدين نلزم كل امرأة بأن تحتجب تمامًا عن عيون الغرباء.. لقد أصدر أجدادنا الحكم على جداتنا بأن يلزمن عقر دورهن، وحرموهن من التعليم ومن العمل ومن المشاركة في الحياة العامة.. عكس ما كان يحدث أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم))

* *

** وأعترف أن الذي حيرني في الكتاب كله، وأخذ مني الجهد والوقت هما أسهل فصلين به:

«آراء مع الحجاب، وآراء ضد الحجاب»

ففي هذا الفصل وهذا السرد الطويل الذي لا أدري أتحقق هي لرواية المنفلوطي على غرار الباحثين والباحثات، لتدلل على مراحل عفى عليها الزمن، أم هي تسرد آراء الناس المؤيدين لتغطية الرأس كما يبدو من عنوان الفصل؟

هل هي تقارن بين أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما حدث في الماضي وهو عكس ما نحن عليه اليوم.. أم ما هي القضية بالضبط..؟!

هل القضية هي خروج المرأة وبروزها للرجال ومخالطتهم، وقد خرجت المرأة بالفعل وصارت تتبوأ كل المناصب وتخالط الرجال بل وتترأسهم - كما قالت - أم القضية أن تكشف شعرها؟

الحقيقة الأمور «مختلطة»، وكلمة من هنا وكلمة من هناك والنتيجة ضياع ملامح الموضوع في هذا الفصل.. فهي تقول الكلام وتقول عكسه، ولولا أنه نوقش بوضوح في الفصول السابقة لمتُّ كمدًا من هذا التشتت.

**ثم تستشهد بجماعة طالبان التي سيطرت على أفغانستان تسع سنوات، وماذا كانت النتيجة!! ثم تستشهد بكتاب «الحجاب والسفور في الكتاب والسنة» الذي أصدره الشيخ الإمام عبد العزيز

بن باز مفتي المملكة العربية السعودية مع ثلاثة شيوخ آخرين، وهي تستشهد بهذا الكتاب من خلال تعليق الدكتور محمد أبو الإسعاد!!

وتأتي برأي الأستاذ عبد الحليم أبو شقة، فتقول إنه يحبذ الحجاب ويرفض النقاب وينصح بالحجاب ليس لأن هناك نصًا قرآنيًا أو نبويًا قطعي الدلالة والثبوت على وجوبه، ولكن اتقاء للشهوات ودرءًا للشبهات،

وتقول عنه:

(وفي تفسيره (للآية ٦٠ من سورة النور) يلفت النظر إلى أنه لا دليل فيها على جواز ستر القواعد من النساء لوجوههن فقط «فهذا إنما يصح لو كان النقاب واجبًا على عامة النساء، وهو ليس واجبًا كما بيَّنا من قبل». ويرى أنها تعني لا حرج على المسنة في أن تخرج للشارع دون خمار، وأن تلتقي بالرجال إذا دخلوا عليها بيتها دون خمار)

* * *

** هذا بالنسبة له لأنه «يحبذ الحجاب ويرفض النقاب» وعلى ذلك فلا حرج على المسنة في أن تخرج للشارع دون خمار، أما بالنسبة لمن لا تحبذ تغطية الشعر أصلاً فماذا عساها أن تضع إذا أسنت من ثيابها..؟!!

** ثم إن رأي الأستاذ عبد الحليم أبو شقة نفسه متناقض إن كان ما سردته الكاتبة عنه صحيحًا، حيث أنه بحسب كلامها والعهدة

على الراوي ينصح بالحجاب ليس لأن هناك نصًا قرآنيًا أو نبويًا قطعي الدلالة والثبوت على وجوبه، ولكن اتقاءً للشهوات ودرءًا للشبهات، فكيف يكون لا حرج على المسنة في أن تخرج للشارع دون خمار، والخمار نفسه ليس هناك نص قرآني أو نبوي قطعي الدلالة والثبوت على وجوبه..!!

وماذا يريد نصًا قرآنيًا أكثر من قوله تعالى:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ و﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ..!!﴾

هكذا بصيغتي الأمر.

أما عن عبارة اتقاءً للشهوات ودرءًا للشبهات نقول: إذن فهناك شهوات وشبهات.

**وتتدرج الكاتبة مع الأستاذ عبد الحليم أبو شقة حتى توجه له سؤالها الأزلي: فتقول:

(ولم يحاول أن يسأل نفسه هذا السؤال البديهي، واليوم إذا لم يعد هناك إماء وحرائر وعادت كل النساء كما أراد لهن الخالق عز وجل، كما قال رسوله سواسية كأسنان المشط. فلماذا تميز المسلمة عن بقية نساء العالم بزي فرضه الآشوريون والفرس على نسائهم قبل نزول رسالة الإسلام بمئات السنين، ولم يعد ثمة تمييز بين العربي والأعجمي إلا بالتقوى؟! ألسنا بذلك ندعم ما يشيعه أعداء المسلمين من اتهامات باطلة عديدة)

* * *

** وما دامت الكاتبة لم تمل من السؤال؛ فلن نمل من الإجابة، ونكرر ما سبق قوله، فما دام لم يعد هناك إماء وحرائر وعادت كل النساء سواسية كأسنان المشط، فهل تخيرت لنا زي الإماء؟!

أما عن زي فرضه الآشوريون والفرس على نسائهم قبل نزول رسالة الإسلام بمئات السنين، فالإسلام يجب ما قبله وقد هذب الإسلام فرضيتهم بضرب الخمار وجعله يغطي الصدر. فما دام هناك نص صريح، فهو ملزم لنساء المؤمنين جميعًا إماء وحرائر، وما عليهن جميعًا إلا الالتزام بالنص.

** ولا نعرف هل هذا الفصل آراء مع الحجاب أم ضده، حيث إن الكاتبة تستشهد فيه برأي أعداء المسلمين ومنهم..

د. سيمون جراي طبيب أمريكي عمل في مدينة الرياض بالسعودية من ١٩٧٦ - ١٩٧٨م، ألف كتابًا بعنوان:

«أسرار وراء الحجاب» عن تجربته وسط المسلمين يقول فيه:

(الجنس حاجة بيولوجية حيوية يحتاجها الكائن الحي للإحساس باللذة الحسية واستمرار النوع، والجنس في ذات الوقت هو حاجة سيكولوجية نفسية لاستكمال شخصيته الإنسانية بالتواصل الوجداني، ويتهم المجتمع السعودي بأنه يعاني من حالة جنون جنسي نتيجة لإخفاء النساء عن الرجال، مما جعل من المرأة تجسيدًا لمفهوم الجنس في عين الرجل، وصار إذا رآها لا يخطر بباله شيء سوى الجنس)

** وأقول للكاتبة التي بهرها هذا القول وصدقته أن ترد على هذا الطبيب الأمريكي وتقول له:

وماذا عن المرأة التي لم تحتجب عن الرجال في أمريكا وأوروبا وفي الغرب كله، هل كف تفكير الرجال في الجنس، ولم يمارسوه في الشوارع والحدائق العامة، والبنت في سن الثالثة عشرة في المرحلة الإعدادية تذهب إلى المدرسة وهي حامل، والمجتمع متقبل لطفلها يضعه في ملجأ مجهولي النسب، وحتى أنه تقام أعراس لاثنين يجلس أبناؤهما بجوارهما في الكوشة.

ومن كثرة الممارسات الجنسية بين الجنسين ملوها وظهرت الممارسات المثلية والمطالبة بحقوق الشواذ، وكم من أمراض تفشت في هذه المجتمعات بسبب الممارسات الجنسية، حتى أنهم عادوا يطالبون بتقنينها عندهم وجعلها في حدود الزواج، ولكنهم يشجعون على نشرها عندنا على أيدي المبهورين بالغرب..؟!!

وتعلق الكاتبة على قول شيخ الأزهر عندما كان مفتيًا الدكتور محمد سيد طنطاوي حيث قال:

(إن تخصيص الحجاب في الآية ٥٣ من سورة الأحزاب) بزوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) وحدهن ليس صحيحًا لأن حكم نساء المؤمنين في ذلك كحكم أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) لأن المسألة تتعلق بحكم شرعي يدعو إلى مكارم الأخلاق)

فتقول:

(إن المفتي يقرر بفتواه هذه قول الحنابلة: «المرأة كلها عورة حتى ظفرها». وهذا يعني العودة إلى الوراء ألف سنة إلى ما سبق وأن قاله المفسرون وفرضوه على المسلمات قرونًا عديدة.. ورأي فضيلة المفتي يفرض أن كل نساء المسلمات قد تزوجن من أنبياء أو رسل.. وإنا لا نجد في آيات القرآن الكريم ما يدعو المسلمات إلى اتخاذ نساء النبي قدوة)

* * *

** الكاتبة تستنكر على المفتي أن يقرر بفتواه قول الحنابلة، وتصر على رأيها، ونقول لمن ترفض أن تقتدي بنساء النبي.. قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «من تشبه بقوم فهو منهم» (رواه أبو داود وصححه الألباني)

ولمن لم تجد في آيات القرآن الكريم ما يدعو المسلمات إلى اتخاذ نساء النبي قدوة فهذا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

** هذا عما جاء في هذا الفصل «آراء مع الحجاب» وكان المفروض أن تسترشد فيه الكاتبة بآراء حديثة من المحجبات والعلماء الذين يؤيدون تغطية الرأس، لكي يدلوا بدلوهم فيه بالأدلة مع مراعاة ظروف العصر، وهذا لمن يتصدى لقضية ما في موضوعية فيكون فصلاً نابضًا. وهذا ما سأفعله:

فعميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر- الدكتورة سعاد صالح تقول:

يقول الله سبحانه في كتابه الكريم:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب ٣٦)

والحجاب بمعنى لباس المرأة المسلمة زي يستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين، وهو فريضة إسلامية مؤكدة في بداية سورة النور بقوله تعالى:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور ١)

«وفي نهاية آيات الحجاب ختمها سبحانه بقوله: «وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون»

وهي إشارة واضحة إلى نسخ ما كان عليه العمل في الجاهلية من أن الزي الذي كانت تلبسه المرأة لا يتناسب مع تكريم الإسلام للمرأة والمحافظة فيه على عفافها وجمالها بدليل قوله تعالى:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾

حيث إن المرأة كانت تلبس الخمار وتسدله إلى الخلف وتظهر صدرها وهو من الزينة الباطنة، فالزينة الظاهرة وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

وهي كما بينتها السيدة عائشة وعبد الله بن عباس:
«الوجه والكفان» وما عدا ذلك فهو زينة باطنة يجب إخفاؤها وسترها، فضلاً عن أن الله سبحانه حينما تحدث عن اللباس وقرنه بالتقوى: «ولباس التقوى ذلك خير».

وهو نوع من التمييز للمسلمة عن غيرها وهو تمييز يقوم على الطاعة والامتثال لأمر الله، ولا يقوم على المكانة الاجتماعية أو الغنى أو الجاه، كما أنه لا يعوق المرأة عن تقدمها فكم من مئات المتفوقات والناجحات في عملهن لأنهن قد صدق فيهن قول الله تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء:١٣)

* * *

أما أستاذة العقيدة والفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر الدكتورة آمنة نصير فتقول:
«قضية الخصومة والحوار الساخن في مسألة الحجاب لا أجد لها تفسيرا وأقول في كلمة مختصرة هذا أمر إلهي من استمع إليه هنيئا له، ومن لا يرد ويبحث عن تأويلات لأقوال وآراء واهية أحيانًا وخروجًا على قواعد التأويل ثم يلتقط هذا الحصاد، لأنه يجد هوى في النفس، أو توظيفًا لما يريد فهذا خطأ.

وأود أن أبين أمرًا ضروريًا بأن ليس كل من لا تلبس الحجاب فهي في المنظور المقابل أقل تقوى أو أقل طاعة لله، فهذا مرده إلى صاحب الأمر يحاسب عباده بميزانه الحق، وفي الوقت نفسه أقول لمن تلتزم بالحجاب هنيئًا لها ولكن عليها أن تعرف أن الحجاب لا يقف عند المظهر بل الحجاب مخبر ومظهر، ومن استجابت لنداء ربها في هذه الخصوصية عليها أن تجمله بجمال المخبر وانضباطه حتى تستحق أن تأخذ لقب أنها سمعت نداء ربها فأطاعته.

وليس معنى الحجاب انغلاق في العقل كما يشاع، أو خصومة في المعاملة مع من حولي في المجتمع فهذا هراء.

وإني أجد الآن المئات ممن أصبحن صورة مشرفة لجمال المرأة الملتزمة بأصول دينها وبحقيقة شرعها وبانتمائها لمجتمع تملؤه بالأعمال الناجحة في شتى ميادين العلم على أعلى مستوى في مؤسسات الدولة سواء بداخل الأوطان أو في خارجها.

* * *

الدكتورة ثريا العسيلي باحثة إسلامية وناقدة أدبية، وأستاذة جامعية متفرغة تقول:

(لا يخفى على أحد أن القرآن ذكر بوضوح أهمية الحجاب للمرأة المسلمة ولست في حاجة إلى أن أدلل على ذلك لكنني باختصار شديد أقول: كل ما يأمر به القرآن الكريم وكل ما ينهى عنه أيضًا هذا الكتاب العظيم كتاب الله هو في صالح البشر في كل مكان وفي كل

زمان، لا يختص به أناسًا معينين، ولا يختص به قومًا معينين أو زمن معين، وإنما هو صالح لكل زمان ولكل مكان، والحقائق التي نشهدها في عالمنا المعاصر في كل يوم تؤكد صحة وروعة الأحكام الإلهية.

ذلك لأن البشر كلما اهتدوا إلى السبيل القويم في الحياة مظهرًا وسلوكا نعموا بالحياة الهادئة المستقرة الآمنة، وكلما انتشر الفساد وسوء الخلق والعري والابتذال، والبعد عن تطبيق الشريعة الإسلامية كلما كثرت الجرائم وذهب الاستقرار.

وعلى ذكر أهمية احتشام المرأة وتغطيتها لجسمها وشعرها وظهورها في المظهر المحترم المحتشم أجد الأديان كافة وليس الإسلام فقط تؤكد على أهمية هذا الاحتشام ولدينا الدليل على ذلك في مظهر الراهبات في الأديرة حيث يغطين رؤوسهن وأجسادهن كلها في مظهر جميل محترم.

والحقيقة أن المرأة تكون في غاية الإحساس بحريتها في الحركة وفي العمل وفي أي مكان، حين لا يكون جسدها مباحًا لكل متأمل لها وكأنها بضاعة أو سلعة.

وخلق الحياء والاعتزاز بشخصيتها وكل المعاني النبيلة والجميلة التي تشعر بها المرأة المحتشمة لا يمكن أن تشعر بها غيرها من المبتذلات، وأعتقد أن من لا يفطن لهذه الحقيقة يكون مغترًا بأفكار

من ينأون بأنفسهم عن الفكر الديني وتغرهم مظاهر ساذجة تأتي من الغرب ومن فئات لا تهتم بالقيم عمومًا.

* * *

أما الدكتور حسام عقل أستاذ النقد الحديث بكلية التربية جامعة عين شمس؛ فقد توجهت إليه بسؤال بديهي يراودني كثيرًا وهو:

لماذا الرجل في كل بلاد الدنيا يلبس فوق رأسه العمامة والطاقية، الغترة والعقال، ولم نجد الاعتراضات التي نجدها على حجاب المرأة، ولم نر أحدًا ينادي بخلع غطاء رأس الرجل العربي.. بل نجد أن بلاد العالم تصنع له هذا الغطاء وتبيعه إياه..!!

فيقول: الدعوات التي تنادي المرأة بخلع الحجاب أو ما تغطي به رأسها؛ إنما تنادي بذلك لأنه مظهر من مظاهر الدين الإسلامي، وأبدًا لم تدعُ الرجل العربي بخلع غترته أو شماغه لأن هذا ليس من الدين إذن هي حرب على الدين.

(غطاء الرأس عند الرجل) إنما هو عادة من عاداتهم وتقاليد بلادهم فلم ينادونه بخلعه، ثم إنهم لا يخافون من احتشام الرجال أو التزامهم بدينهم، لأن الطريق لإفساد الرجل ليس إلا المرأة فعليهم بإفساد المرأة وتجريدها من احتشامها ليخر الرجل ساجدًا أمام شهواته ونزواته الشيطانية، وبذا تتحقق غايتهم الكبرى في تدمير عقول الشباب، وإماتة قلوبهم، ليشربوا في قلوبهم حب الشهوات

والنساء، ليكن في النهاية مجتمع الإسلام مجتمعًا بلا هوية، فلا هو مسلم ولا هو كافر، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

** *

** أما عن رأيي المتواضع والذي اقتنعت به كامرأة تلبس الحجاب أقصد الخمار وتخرج للعمل فهو:

الملاحظ أن الله عز وجل لا يخاطب بالحجاب إلا كل مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر

قال تعالى: «ونساء المؤمنين»

وقال تعالى: «وقل للمؤمنات»

وبالتالي فإن الاستجابة لأمر الله لا تكون إلا من المؤمنة الصادقة التي دخل الإيمان قلبها، والتي فهمت أن الله فرض على المؤمنة الحجاب لأنها جوهرة، فنجده سبحانه وتعالى يصف الحور العين في الجنة بقوله تعالى: «حور مقصورات في الخيام»

وقال صلى الله عليه وسلم عن نساء الجنة:

«ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»

(رواه الترمذي بسند صحيح)

** والحقيقة أن التبرج علامة على فساد الفطرة، ففطرة الإنسان تميل إلى التستر، والدليل على ذلك أن التي تلبس القصير تقليدًا للموضة المستوردة إذا جلست تظل تشد في ذيل تنورتها لتغطي

أفخاذها، والتي تظهر مساحة عارية من صدرها إذا انحنت أو إذا لاحظت نظرات تخترقها تضع يدها على هذه المنطقة.

أما التعري والتكشف فهو فطرة حيوانية، لا يميل إليها أصحاب الفطرة السليمة.

تقول الكاتبة:

** قال أحدهم موضحًا عداءه وكيده للإسلام:

(كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية ما لا تفعله المدافع والصواريخ)

** وكلامه صحيح لأن المسلم إذا اتبع هواه واتبع الكأس والغانية خذله الله وهزمه، وإنما ننصر بتأييد الله سبحانه وتعالى لا بقوتنا ومدافعنا.

قال (صلى الله عليه وسلم): **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا يا رسول الله من يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**

** *

الفصل الثامن

وآراء ضد الحجاب

وفي باب آراء ضد الحجاب ويقع في ثماني وثلاثين صفحة، تقول الكاتبة في البداية:

(ينطلق الرافضون للحجاب من فكرة حرية الفرد في الإسلام ومسئوليته الكاملة عن أفعاله وأقواله، وحسابه على نواياه أمام الله سبحانه وتعالى)

* * *

** هذا صحيح وهذا اختار بكامل حريته العصيان وذاك اختار بكامل حريته الطاعة، هذا اختار بكامل حريته النار وذاك اختار بكامل حريته الجنة وهل، نظن أن الله يُدخل شخصًا النار هو لم يخترها وعمل بعمل أهل الجنة؟!!

عندما يقول الأب لابنه: (أنا نبهتك وأنت حر) حرّ هنا معناها حر في نوع الجزاء الذي تختار، فلو أطاع أباه كافأه، ولو عصى أباه عاقبه!

والغريب رغم أن الرافضين للحجاب ينطلقون من فكرة حرية الفرد في الإسلام، إلا أنهم لا يتركون من تفضل الحشمة في حالها وكأنهم أوصياء على المجتمع كله، ونذكر هؤلاء الداعين لحرية الفرد في الإسلام بالآية الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب ٣٦)

فإذا كان مؤمنًا وكانت مؤمنة؛ فليس لهما اختيار بعد قضاء الله ورسوله، أما الذي له الخيار فليذهب إلى ربٍ سواه.

ثم تقول:

(كان أول من انتقد عادة فرض الحجاب على المسلمات كافة، رغم أن الله تعالى اختص به أمهات المؤمنين وحدهن، هو القاضي المصري الشاب قاسم أمين في كتابيه تحرير المرأة ١٨٩٩م، والمرأة الجديدة ١٩٠١م)

وتقول:

(هاجم قاسم أمين النقاب والبرقع على أنهما ليسا من المشروعات الإسلامية، لا للتعبد ولا للأدب..)

وتكمل:

(وتحدث عن الحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها، والحظر عليها من أن تخالط الرجال، فرأى أنه يختص بنساء النبي وحدهن..)

بدليل قوله تعالى:

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾

■ ■ ■

** وعن نفسي لا أختلف مع قاسم أمين في هذا المعنى، فقد هاجم قاسم أمين النقاب والبرقع، ولم يهاجم الخمار ولم يجرؤ، ولم يهاجم ضربه على الصدر كما أمر سبحانه وتعالى وإنما هاجم النقاب والبرقع وفيهما خلاف.

أما قوله الحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها يختص بنساء النبي وحدهن، فهذا صحيح، بدليل قوله تعالى:

والكاتبة ذكرتني بجملة يرددها الناس وهي: «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية»

والذي أراه هنا أنه خلق قضية من لا قضية، وذلك بليّ عنقها ثم أفسد ودها، فأين القضية هنا محل الجدال..؟!!

إذا كان قاسم أمين قد هاجم النقاب والبرقع، وتكلم عن الحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها، ولم يتكلم عن الخمار وهو تغطية الشعر والصدر، أين القضية..؟

** القضية في رأيي أن الرجال بالغوا في تقييد المرأة ففرضوا عليها البرقع والنقاب، وحبسوها في البيت وقام القاضي الشاب يطالب بحريتها وتعليمها وإظهار وجهها وكفيها.

أما الحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها والحظر عليها أن تخالط الرجال؛ فهو غير الحجاب جوازًا بمعنى غطاء الرأس..!!

ولكن الذي حدث هو أخذ كلمة الحجاب من أفواه الناس ويقصدون بها الخمار، وطال الشرح في معنى الحجاب من أنه ستر الأشخاص، وأنه يعني قصر المرأة في بيتها، وأنه خاص بنساء النبي.. وهكذا تنشأ قضية من لا قضية..

وتقول الكاتبة:

(كتب قاسم أمين كتابه تحرير المرأة في نهاية القرن التاسع عشر، وقت أن كانت النساء محرومات من كل الحقوق الإنسانية، محتجزات خلف جدران بيوتهن..)

* * *

** هذا كتاب قاسم أمين النابع من ظروف عصره، والذي قضى عمره في الدفاع عن المرأة، وإنقاذها من المعتقل كما تقولين، فهل يُعقل أن ننقل منه هذا النقل الحرفي رغم اختلاف ظروف العصر..؟!

ثم تستشهد الكاتبة برأي محام شرعي وكاتب إسلامي اعتقل على ذمة جماعة الإخوان اسمه «خليل عبد الكريم» حيث يعارض في كتابه «مفاهيم خاطئة ألصقوها بالإسلام» عودة النقاب حيث لا سند له من قرآن ولا سنة ويقول:

أتت صحابية إلى الرسول وهي تصيح يا رسول الله النار النار فقام إليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال ما نجواك؟ فأخبرته بأمرها وهي منتقبة، فقال: يا أمة الله أسفري فإن الإسفار من الإسلام وإن النقاب من الفجور».

تقول الكاتبة:

(فالسفور هو الأصل في الإسلام، وبعض النساء المسلمات كن يكشفن وجوههن، وكانت من بينهن عائشة بنت طلحة حفيدة أبي بكر وبنت أخت كل من عائشة رضي الله عنها وأسماء ذات النطاقين)

* * *

** فما أرى هذه الاستشهادات إلا خاصة بتغطية الوجه، ولا تمس الخمار لأنه فرض من الله، والقصة التي ساقها «خليل عبد الكريم» رغم تحفظي عليها تدل على أنه خاص بالوجه، ورغم أن الأصل هو السفور فإن بعض الصحابيات كن يفضلن النقاب. وتعليق الكاتبة بأن بعض نساء المسلمين كن يكشفن وجوههن تدل على أن غالب المسلمين كن يغطين وجوههن، ويفضلن النقاب كاقتداء بنساء النبي، وسبحانه الله الذي يجعلهم يسوقون بألسنتهم

الأدلة التي تدحض رأيهم، مع العلم أن السفور هو كشف الوجه لا الشعر.

ثم تستشهد بأقوى المعارضين للحجاب رئيس محكمة الاستئناف الأسبق المستشار محمد سعيد العشماوي، الذي أصدر منذ سنوات كتابًا بعنوان:

«حقيقة الحجاب وحجية الحديث»، وهو الكتاب الذي تعتمد عليه الكاتبة وتقدم من خلاله منهجها، والمستشار يرفض المنهج التقليدي في تفسير القرآن، ويرى أن الزي والملبس من شئون الحياة التي تتشكل وفقًا للأعراف وتتحدد طبقًا للتقاليد، ولا تتصل بالدين ولا تتعلق بالشريعة، إلا في ضرورة أن تلتزم المرأة والرجل بالاحتشام والتعفف والتطهر.

** وإذا كان سيادة المستشار يرى أن الزي والملبس من شئون الحياة التي لا تتصل بالدين ولا تتعلق بالشريعة، فنقول له ولماذا وضع الله سبحانه نصين يصفان ويحددان الزي أحدهما خاص بالجلباب والآخر خاص بالخمار، وإذا كنت ترى سيادتك ضرورة أن تلتزم المرأة والرجل الاحتشام والتعفف والتطهر، فكيف يكون ذلك بلا ستر للبدن والزينة؟

وقد بحثت في المعجم الوسيط عن معنى الكلمات الثلاث: الاحتشام والتعفف والتطهر فوجدت:

الحشمة: بمعنى الحياء، والحشمة بمعنى المسلك الوسط المحمود.

العفة: عفّ، عفة، وعفافًا: الكف عما لا يحل.
التطهر: طهّر الشيء، برّأه ونزّهه من العيوب.
وقال: تلتزم المرأة والرجل بالاحتشام والتعفف والتطهر.

والدين قد حدد عورة المرأة كامل جسدها عدا الوجه والكفين، وعورة الرجل من السرة إلى الركبتين، ولكن الغريب يا سادة يا كرام أن الرجل يلبس زيًا كاملاً كاسيًا كل بدنه من باب الوجاهة والشياكة، والمرأة بجواره تكشف الكثير من جسدها من باب الغواية والإغراء، فأي حياء له ولها مع هذا الكشف؟ وأي عفة في اتباع ما لا يحل..؟

(كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يعول).

وتقول:

(ومن رأيه أي - سعيد العشماوي - أن الحجاب - بالمفهوم الدارج حاليًا - شعار سياسي فرضته الجماعات الدينية لتظهر به مدى انتشارها وليس فرضًا دينيًا)

** وأؤكد للكاتبة التي تعتز بهذا الرأي، أنني وقد تعلمت وخرجت للعمل وألبس الحجاب - بالمفهوم الدارج حاليًا - ألبسه بمحض إرادتي واقتناعي، ولم تفرضه عليّ أية جماعة دينية، ولا أب، ولا أم، ولا أخ.

وتقول:

(وهو يحذر من إصرار البعض على إشاعة أن الحجاب ثابت بالكتاب والسنة وبالإجماع، وتكرار مقولة أنه معلوم من الدين بالضرورة).

* ■ *

** ونقول للكاتبة يقول الله ورسوله، وتقولين سعيد العشماوي!! يقول الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن، وتقولين يحذر فلان من إصرار البعض على أنه معلوم من الدين بالضرورة)

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً(١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾

(نوح: ١٣/١٤)

وتقول:

(وفي مقال بعنوان «شَعر المرأة ليس بعورة» أورد بحثًا عن الشَعر في الحضارات القديمة قال فيه: إن قدماء المصريين نشأ لديهم اعتقاد بأن شعر الإنسان هو مظهر قوته ورمز الافتخار. ولذلك كان الكهنة يحلقون رؤوسهم تمامًا، وكان الرجال يغطون رؤوسهم والنساء تضعن الباروكة، وقد أخذ موسى عليه السلام بفكر وحضارة المصريين، فأمر أتباعه بتغطية رؤوسهم في الصلاة وتسربت الفكرة إلى أنحاء العالم)

* * *

** بالله عليكم هل هذا معقول؟ أيعقل إن نقول وقد أخذ موسى عليه السلام، موسى هذا نبي وهو كليم الله، ويتلقى تعاليمه من السماء، ولا ينطق عن الهوى، نقول وقد أخذ موسى عليه السلام بفكر وحضارة المصريين!!

ثم نقول وتسربت الفكرة إلى أنحاء العالم وكأن القرآن لم يذكرها، ثم يصل إلى رأيه الساذج والذي نقلته الكاتبة وسبق الرد عليه في الفصول السابقة وهو «فلو أن الأصل أن تضع المرأة غطاء على رأسها عمومًا، لما كانت ثمة وصية لأن يطلب منها وضع خمار على رأسها أثناء الصلاة».

وقلنا: حتى لا تظن وهي في بيتها ولا يراها أحد أن تترك الخمار أثناء الصلاة، والحمد لله الذي أنطقهم بضرورة الخمار في الصلاة وإلا لأفتوا بعدم جوازه..!!

وتقول نقلاً عن العشماوي:

(وخلاصة الخلاصة أن شَعر المرأة ليس عورة أبدًا، والذي يقول بغير ذلك يفرض من عنده ما لم يفرضه الدين، ويلزم الناس ما لا ينبغي أن يلتزموا به، ويغير ويبدل من أحكام الدين لجهل شخصي أو لمصلحة سياسية أو لأهداف نفعية)

** ضربني وبكى..!!

من عجب الدنيا أن الذين يغيرون ويبدلون هم الذين يتهمون غيرهم بالتغيير والتبديل، ويسقطون على غيرهم أمراض قلوبهم، فهم الذين يسوقون أقوالهم لجهل شخصي أو لمصلحة سياسية أو لأهداف نفعية.

ويقول:

(وإذا كان الفقهاء قد رأوا في السابق أن شعر المرأة عورة لا بُد من تغطيتها فإنه يمكن للمسلمين في العصر الحالي ألا يعتبروه عورة، ما دام لا يوجد نص في القرآن أو السنة قطعي بذلك، وأن يروا العفة في ذات المرأة الطاهرة وضمير الفتاة النقي وقلب الأنثى السليم، لا في مجرد وضع زي أو لبس رداء)

* * *

** هكذا.. ونظرًا لتناقض الكلام وتخبط الآراء، ومن هنا لم يكن لمثل هذه الدعوات أي صدًى عند الغالبية العظمى من الناس.

فهذا هو القرآن يحدد كل سبل العفة في ذات المرأة الطاهرة بغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة وضرب الخمار على الجيوب، وعدم الضرب بالأرجل لإظهار الزينة.

وكأن السابقين كانوا يفسرون من قرآن غير القرآن، أو كأن آيات النسخ نزلت بعدما مات السابقون، وكأنه قد كان أيامهم

يوجد نص في القرآن أو السنة قطعي الدلالة، واليوم انقطعت عنه الدلالة.

وتنتقل الكاتبة إلى كاتب أخر من معتنقي المبدأ إياه، وهو «جمال البنا» في كتابه: «المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد العلماء»

حيث يقول:

(وإذا كانت المرأة في الجاهلية تختمر لتستر شعرها، وإذا كان ثوبها طويلاً سابغًا، فإن هذا كله لم يكن له أية علاقة بعبادة، وإنما لأن هذه الصفات هي التي يفترض أن تكون في الثياب لتكون عملية وصالحة.

وأن قضية الزي كانت قضية مدنية تخضع لما يفترض أن تخضع له الملابس لكي تكون صالحة، دون أن يكون لها بعد تعبدي، وهي ليست من مسائل العقيدة التي لا مساس بها ولا تعديل فيها، ولكنها من باب الآداب التي تخضع للأعراف والعادات والتطورات، ومع أنها هامة فلا يجوز تضخيم أهميتها، لأن ذلك سيخل بالأولويات على حساب جوانب أخرى).

* * *

** ونسأل الكاتبة والكاتب ما عساه باب الآداب اليوم..؟

هل أغلق..!! حيث يقول: لا يجوز تضخيم أهميتها.. ولماذا هل لأن أهميتها جاءت من قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾

وتقول:

(ويقول البنا إنه يمكن اعتبار تعبير «إلا ما ظهر منها» كل ما لم يأمر القرآن بستره، وهو لم يأمر صراحة إلا بستر فتحة الصدر وإدناء الثوب)

* * *

** باختيارها جاءت من كلام البنا أن الله أمر صراحة بستر فتحة الصدر وإدناء الثوب، وأُذكّرهما معا أن ستر فتحة الصدر هذه

لا بُد أن تكون بالخمار.

** ثم تنتقل الكاتبة إلى الدكتور محمود سلام زناتي الذي أتيحت له الفرصة لدراسة نظم العرب القبلية المعاصرة.

فتقول:

(ويرى الدكتور زناتي أن النساء العربيات، لم يحتجبن عن الظهور ولم يمتنعن عن مخالطة الرجال في الجاهلية أو عصر النبوة والخلفاء الراشدين، ولا في الدولة الأموية في البادية وفي مكة والمدينة والمدن الجديدة كالبصرة والكوفة.. الخ.

وفي كتابه يورد العديد من القصص المأخوذة من التاريخ الإسلامي لنساء عربيات كن يستقبلن ضيوفهن وضيوف أزواجهن وأخواتهن، وكن يفدن إلى سوق عكاظ ويشاركن في المعارك والحروب ويذهبن إلى المساجد، ومن النساء من كانت تستقبل خطيبها وتحادثه وتختبره، لتتبين شخصيته وتتعرف على فطنته وكانت تجير اللائذ بها وتخرج للنزهة خارج المدينة)

* * *

** هذا هو كلام محمود سلام فماذا نرى حركة النساء اليوم؟! الفرق أنهن كن يتحركن بالزي الشرعي واليوم بغير زي.

وتقول:

(وهو يرى أن كل الآراء التي قيلت بصدد تفسير آيتي الحجاب لا تنبع من الآيتين نفسيهما، وهذا يفسر الانقسام حولهما بين المفسرين)

* * *

** والله إذا كان التفسير بأن آيتي الحجاب قد نسختا بآيات أخرى فـ﴿هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

وإن كان التفسير بأن آيتي الحجاب قد نسختا باتخاذ دورات المياه في البيوت، فالأكرم لنا إلغاء هذه الدورات لأنها هي المستحدثة، واتخاذ ما يسمى بدورات المياه العامة. . !!

وتقول:

(كل ما سلف من آراء صدرت عن رجال أنعم الله عليهم بنعمة العقل، ففضلوه على النقل. . رجال أحبوا عقيدتهم وأتوا بما أنزل الله على رسوله المصطفى خاتم الأنبياء، ورفضوا بها آراء وأفكار رجال لا قداسة لهم، فسروا العقيدة وفق مفاهيم عصورهم، رجال كرروا صيحة الفقهاء بعد عصر التابعين للصحابة: هم رجال ونحن رجال)

* * *

** صدقتم والله هم رجال ونحن رجال، هم رجال قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

«خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»

وقال صلى الله عليه وسلم:

«لا تسبوا أحدًا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصفه» (رواه البخاري ومسلم)

وبما أن «دين المرء عقله، ومن لا عقل له لا دين له»
فبماذا أتت عقولهم..؟

الحقيقة لم يأت عقل هؤلاء إلا بما هو هراء لم يقنع أي أحد، لأنه لم ينبع من قلب مخلص، ولكن جاء من واسمحوا لي أن أستعير كلام أحدهم (لجهل شخصي أو لمصلحة سياسية أو لأهداف نفعية).

وقد بحثت الكاتبة عن امرأة تؤيد نفس الرأي حتى عثرت عليها.

كاتبة لبنانية تدعى «نظيرة زين الدين الحلبي» (١٨٠٨- ١٩٧٦)
وكتابها: «السفور والحجاب»

تقول الكاتبة:

(اعترفت نظيرة بتأثير والدها عليها، وتفاخرت بأنها لم تكتب ما كتبت فرارًا من سجن الحجاب، فقد حررها منه والدها حيث تقول:

(الذي عد سجني منافيًا عدل الله ومصلحة المجتمع، ووثق بشرف نفسي وأدبها، فأرسلني سافرة إلى الحياة والنور، ولدى تحكيمي العقل رجحتُ ما رأى ففعلت)

* * *

** قلنا من قبل أن السفور هو كشف الوجه لا الشعر، وهو ما تدافع عنه نظيرة زين الدين عندما تقول: «الوجه مرآة الروح» وأنه لا سند من قرآن ولا سنة بوجوب إخفاء وجه.المرأة فلا خلاف

مع هذا الرأي حتى الآن، وبتتبع ما أوردته الكاتبة عمن تُدعى «نظيرة الحلبي» لم أجد إلا أنها تتكلم عن النقاب وعن حق النساء في التعليم واستعمال عقولهن، وهي في دعواها محقة إذ تطالب بحقوق المرأة في وقت كانت محرومة فيه من حقوقها، فما هي الإضافة..؟!!

** من كل ما تقدم يتضح أن كتاب «الحجاب رؤية عصرية» للكاتبة إقبال بركة ما هو إلا نقل عن كل هؤلاء دون تصرف، وأن الكاتبة التي تقول باتباع العقل لا النقل نقلت فقط آراءهم بالكامل، ولم تضف قدر أنملة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

** وعلى غرار ما فعلتُ في الفصل السابق، واسترشدت برأي المؤيدين للحجاب أي (الخمار) منعًا من اللبس، فعلت في هذا الفصل وأتيت بالرأي الذي هو ضده.

** قالت لي إحدى الرافضات للخمار تقنعني بعدم فرضيته:
عدي لي أركان الإسلام.

فقلت:
شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله
وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت

قالت:

- فأين الخمار.

قلت: هذه هي أركان الإسلام، وليست أركان الإيمان.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)

أما أركان الإيمان فهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

فمن موجبات الإيمان بالله، الإيمان بما قاله، وما جاء في كتبه، وما جاءت به رسله، وكما أوضحوا واليوم الآخر وما فيه من الحساب هل أطعت أم استكبرت؟

وأركان الإسلام الخمسة خاصة بالرجال والنساء معًا.

أما الحجاب فهو أمر مباشر خاص بالنساء، فقد نزلت به آيات مخصوصات.

* * *

الفصل التاسع

وأيضًا.. مقدمة الكتاب

تقول الكاتبة إقبال بركة في مقدمة كتابها:

«الحجاب رؤية عصرية»:

(منذ منتصف السبعينيات وظاهرة انتشار الحجاب بين النساء العربيات تثير فضول الغرباء، والكثير من الهواجس والقلق لدى المثقفين المسلمين، وتتابع بكثير من الريبة والتوجس من الإعلام الغربي)

* ■ *

** ونسألها.. لماذا؟ وهو مجرد إيشارب تضعه المرأة فوق شعرها؟

وتقول:

(والجدل بين المسلمين المعاصرين يكاد لا يتوقف حول قضية الحجاب.. وقد بلغ من حماس البعض وإصرارهم على الدفاع عن

الحجاب وإعادته إلى رأس المرأة المعاصرة إلى حد أنه أصبح يرمز وحده إلى الهوية الإسلامية، ويمثل جوهر الوجود الإسلامي).

* * *

** من البداية هي توضح أن قضية الكتاب الرئيسية هي غطاء شعر المرأة ورفضها لهذا الغطاء.

وتعترف:

(وبعيدًا عن هذا الجدل المستمر بين الطرفين، ما زالت أعداد المحجبات في ازدياد، وما زال الإسلاميون يدفعون بشدة في هذا الاتجاه، وعلى الأخص بعض الدعاة العصريين الذين اكتسبوا شهرة واسعة بين أوساط الشباب، وطلاب الجامعات الخاصة الذين ينتمون إلى العائلات الثرية، والذين تنتظرهم الفرص للمشاركة في تغيير هذا الوطن وبنائه)

* * *

** الكاتبة تقصد الداعية الفذ «عمرو خالد» جزاه الله كل خير على ما فعله ويفعله للشباب، بل ولجميع الأعمار، وعمرو الذي كان يحضر له الآلاف والآلاف من الشباب في مساجد القاهرة، ولما أصبح يطل علينا من الفضائيات صارت الأعداد بالملايين، وما زال الملايين يتهافتون على سماعه، والتأثر به قوي جدًا، وفي

تزايد مستمر، وكأن هجرته هذه فتح جديد ليدخل الناس في دين الله أفواجًا، والله متم نوره ولو كره الكارهون، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

وتقول:

(أما أعداء الإسلام فيدللون بها على تفشي التمييز العنصري في المجتمعات الإسلامية وعلى ازدراء المسلمين للمرأة، وإمعانهم في إذلالها وحبسها داخل إطار متخلف)

* * *

** لقد وصفتهم بأعداء الإسلام..!! والأحرى أن ترد على أعداء الإسلام بأن هذا فيه عزة للمرأة وصون لها من الابتذال والترخص وعرض جسدها في سوق النخاسة، وعلى زجاجة المياه الغازية.

وتعتقد:

(إن هذه الظاهرة انتشرت نتيجة لتفشي الفكر السلفي بين الفقهاء المعاصرين وتقاعسهم عن تقديم تفاسير عصرية تتفق مع التطورات السريعة في المجتمع البشري)

* * *

** وكأن التطورات السريعة في المجتمع البشري نفت عن الإنسان مشاعره الإنسانية، وغرائزه الفطرية، وانجذاب كل من الرجل للمرأة والمرأة للرجل.

وتظن:
(والملاحظ أن أغلب المتجادلين حول هذه القضية من الرجال بينما صاحبة الأمر صامتة لا تشارك، وترجع ذلك لعدم الوعي لديها، والاعتقاد بأن الحجاب فريضة على كل مسلمة)

* * *

** كأنها تخاطب امرأة من القرون الماضية، أما المرأة الآن فترتدي الحجاب بمحض إرادتها بعد أن تنضج وتفهم دينها، وماذا نقول عن الفنانات اللاتي تحجبن والطبيبات والرياضيات والحاصلات على أعلى الدرجات العلمية والبطولات، حينما تأكدن أن الحجاب فعلاً فريضة على كل مسلمة اعتزلن.

وإذا كان الخمار ليس بفريضة؛ فما الضرر من ارتدائه ألا يدخل في باب الحشمة أم أن الحشمة أيضًا ليست بفريضة.

وتشكو:
(وأعترف أني كنت واحدة من هؤلاء.. وكان الموضوع بقدر ما يثيرني ويقلقني يسبب لي حرجًا وارتباكًا شديدين، خاصة إذا

ما أثير هذا الموضوع خارج مصر في وسط المثقفات الغربيات، كن يسألنني ما هي حقيقة الحجاب..؟ لماذا ينتشر بسرعة كبيرة بين النساء المسلمات حتى الحاصلات على أعلى الدرجات العلمية؟)

* * *

** سبحان الله يعطيها ربها الفرصة وتضيعها.. يعطيها فرصة الالتقاء بهؤلاء المتسائلات فبدلًا من أن تجدها فرصة وتنشر دين ربها يضيق صدرها وتشعر بالحرج.

** قال تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)

** وأربأ بالسيدة إقبال أن يكون ضيق صدرها هو ما يقلقها ويسبب لها حرجًا وارتباكًا شديدين.

وتقول:

(الذنب ليس ذنب المرأة العربية، ولا ذنب المسلم المعاصر، فالواقع أن مناهج التعليم أهملت الدين كمادة علمية فلم يكن مادة

نجاح ورسوب.. وكانت حصة الدين مملة وأغلب المدرسين لم يكن لديهم الحماس لأن يناقشوا أمور الدين معنا بشكل يرضي فضولنا..)

* * *

وتقول:

(وفي منتصف السبعينيات ثار جدل عنيف حول وضعية المرأة، وتكررت في الصحف العربية كتابات تهاجم النساء العاملات وتطالب بعودة المرأة إلى البيت والاكتفاء بتأدية دورَي الزوجة والأم على اعتبار أنهما دوراها الرئيسيان، بل الوحيدان في الحياة، وشاع فكر يهاجم سفور المرأة واختلاطها بالرجال..)

* * *

** أما الكتابات التي تهاجم النساء العاملات وتطالب بعودة المرأة إلى البيت والاكتفاء بتأدية دورَي الزوجة والأم، فما هي إلا آراء شخصية تمثل صاحبها، وغير ملزمة فمن أرادت أن تعمل فلتعمل، ومن أرادت أن تكتفي بدورَي الزوجة والأم فلها ذلك.

فخروج المرأة للعمل لا يجب أن يكون على إطلاقه، كأننا نسوق قطيعًا من الغنم، وإنما تعمل من هي في حاجة إلى العمل، سواء أكانت هذه الحاجة مادية أو نفسية، أو حبًا في ممارسة عمل

بعينه عن موهبة حباها بها ربها، وأربأ بالمرأة أن تعمل في عمل لا يضيف لها سوى بعض الجنيهات، على حساب دورَي الزوجة والأم اللذين هما بالفعل دوراها الرئيسيان)

* * *

** والحقيقة إذا لم تلبس المرأة الجلباب والطرحة وتأخذ ابنها في حضنها لا يستقر له قرار، أما التي تلبس على الموضة فهي ليست مقنعة لولدها ولا يشعر معها بالدفء.

** أما عن جملة (وشاع فكر يهاجم سفور المرأة واختلاطها بالرجال..) فأتساءل: لماذا كل هذا الدفاع عن اختلاطها بالرجال، إن التعامل بين المرأة والرجل يجب أن يكون في إطار من الضوابط التي لا تؤدي إلى الوقوع في الرذيلة، وللعلم الغرب الآن يعمل على فصل الإناث عن الذكور في المدارس والجامعات.

وتستنكر:

(هل بعد كل ما بذلت من جهد في المدارس والجامعة، وبعد سهر الليالي الطويل للدرس والتحصيل وبعد تحقيق التفوق..أحرم من جني الحصاد وقطف الثمرة التي زرعتها؟! هل أجري وراء سراب عندما أستمتع بعملي وأتطلع للصعود إلى أقصى درجات الترقي والنجاح فيه..؟!

** اعملي يا سيدتي واقطفي الثمرة، وتطلعي للصعود إلى أقصى درجات الترقي والنجاح كما تستطيعين، ولكن هل جني الثمار لا يكون إلا بالكشف، وهل هناك عائق من أن يكون النجاح مع ستر البدن..؟!

وتقول:

(كل الاتهامات كانت توجه إلى المرأة من منطلق إسلامي، ولذلك دفعني حرصي على ديني إلى أن أسعى لمعرفة الحقيقة)

* * *

** ونحن أيضًا نحرص على ديننا، فلنبحث معًا عن الحقيقة، وأحمد الله أنك تركت لي مساحة من الحرية بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» ففتواك غير ملزمة لي وللكثيرات إذا رفضها قلبي وقلوبهن. «الإثم ما حاك في الصدر» أما «أنتم أعلم بشئون دنياكم» فذلك في أمر الدنيا لا الدين، ولا مع أمر فيه نص قاطع يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وتقول:

(إن قضية الحجاب من أخطر القضايا التي أصبحت تمس سمعة المسلمين، وتحدد موقفهم مما هو مطروح بشدة على ساحة العالم

الحديث من قضايا إنسانية، مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والتمييز العنصري، ومكانة المرأة ودورها في بناء مجتمع العولمة وغير ذلك، والاستهانة بهذه القضية لا تقل جرما عن تضخيمها، في وقت تواجه فيه أمة المسلمين حربًا شعواءَ من أعدائها، الذين وجدوا في وضعية المرأة المسلمة ومسألة الحجاب ثغرة نفذوا منها وأشاعوا الإفك حول الإسلام.

فزعموا بأنه دين يعطل العقل، ويحجر على الرأي، ويدفع المسلمين إلى الخضوع للماضي ومعاداة الحاضر.

كذلك ادعوا أن الإسلام يزدري المرأة ويحرمها من حرية التعبير والاختيار والتنقل.. ويشجع على التفرقة بين المسلمين حسب النوع، وتمييز الذكور على الإناث، وغير ذلك من افتراءات يدللون عليها بكتابات بعض المسلمين وأقوالهم وأفعالهم)

* * *

** في الكلام عبارات مثل:

(زعموا وأشاعوا الإفك ـ حربًا شعواءَ من أعداء أمة المسلمين)

فلو أعطيناهم مطلوبهم صدق ظنهم، ولو أثبتنا قيمة الإسلام وقيمة تعاليمه والحرص على التمسك بها وعدم الالتفات إلى مزاعمهم لأن الله أحق أن يتبع، ولأننا ننتصر بإرادة الله لا بقوتنا، فقط علينا حسن العمل وصدق النية.

** وإذا كان الفقهاء القدامى أفتوا بأن تحتجب نساء المسلمين في كل مكان وحتى آخر الزمان، ويأتي بعض النساء ويرفضن أن تغطيهن قطعة قماش، ويجترئن على الله رغم تقدم السن وقرب الأجل، فنذكرهن أن سن الأربعين هي سن التوبة والرجوع إلى الله، والميل إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥)

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

(النور: ١٥)

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات: ٥٠)

قال الشاعر:

وخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير فيمن كان لله عاصيا

فما أنت إلا أيام فإن ذهب يومك ذهب بعضك.

** وإذا كانت الكاتبة صاحبة فكر قوامه الحرية الشخصية، كيف تنكر على غيرها حريتها، ولماذا هذا الإصرار على تخطئة من تغطي شعرها، أليس هذا هو الشكل الذي ارتضته امرأة أخرى لنفسها بكامل حريتها كي تظهر به بين الناس، أم أن التي تفضل أن تظهر شعرها وكتفيها هي فقط التي لها حرية فرض رأيها..؟!!

ولماذا لا يكون هناك الشكلان، وهذان الشكلان بالفعل هما دليلا حرية المرأة في اختيار ملبسها، ما دام هذا الزي لا يعطلها عن التعلم، ولا عن العمل لمن تريد أن تخرج للمجتمع فما المانع..!!

أم أن هذا الإصرار لأن من تغطي شعرها مؤمنة تلتزم بأمر ربها ولديها من الإرادة ما يجعلها تصبر على الطاعة، لذلك تحارب في دينها..؟!!

أولى بمن لم تلتزم بشرع الله أن تعترف بأنها مقصرة وتدعو الله أن يهديها سواء السبيل، لا أن تحارب الله وهي تحت سمائه..!!

وتقول:

(وليس لي في النهاية إلا أن أرجو الله المغفرة، إذا كنت قد أخطأت.. وأردد ما قاله الإمام الشافعي:(إذا رأيتم في أقوالي ما لا يوافق كتاب الله وسنة رسوله فاضربوا به عرض الحائط)

* * *

** ما تصديت لتفنيد كتاب (الحجاب رؤية عصرية) إلا من أجل الفتاة الحائرة بين دينها وبين مغريات الدنيا، ثم يأتي رأي منمق مثل هذا ليقنعها بأن هذا النص الواضح ما هو إلا لفترة مضت.

** والذين تشغلهم نظرة الغرب للإسلام وللمرأة المحجبة قولوا لهم:

دين يأمر المرأة بإخفاء زينتها هو دين طاهر يحترم المرأة.

دين يأمر المرأة أن تخفي ساقيها وذراعيها ورقبتها وشعرها، هو دين يقول لها أنت لست سلعة للعرض، ولست شيطانًا للإغواء.

ولا يخفى علينا كيف يستغل اليهود نساءهم في فتنة الرجال ولتحقيق مصالح وصفقات، والوقوف على أدق الأسرار والتجسس، ولسلب الناس أموالها، وهي أيضًا مسخرة لإراحة الجنود بالجنس، ولكل من يبغي المتعة الحرام ولها بيوت تنتظر بها أي رجل يدفع.

دين يأبى للمرأة أن يتعدد عليها الرجال، هو دين يحترمها ويحميها من الأمراض، ولكن للأسف بعض النفوس الضعيفة يقلدون هذا الوباء ويدافعون عنه.

***

الإسلام ما فرض هذه الضوابط على المرأة المسلمة في ملبسها وزينتها إلا لصيانتها من مجون الماجنين، وإلا لتكون المرأة المسلمة كالدرة المصونة التي لا تصل إليها الأيدي الآثمة.

** فدعي يا أختاه كل واحدة تلبس ما يحلو لها، وتفهم نصوص ربها بما يسعفها به عقلها، هذه ليست القضية التي يجب أن نتكلم فيها اليوم في ظل الظروف الراهنة.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

(محمد: ٢٤)

** وسؤالي لصاحبة الكتاب وهي تنادي بهذه الدعوة لعشرات السنين ماذا حققت من ورائها..؟ وماذا أضفت لفكر السابقين؟ بل ماذا قدمت لما بعد العولمة والحداثة..!!

وماذا كانت النتيجة..!! ألم يزد عدد المحجبات..!! في كل يوم تلبس سيدة الحجاب، وليس في كل يوم تخلع سيدة الحجاب.

** وللذين يعتقدون بأن الحجاب ردة حضارية أقول:
سواء هي ردة أم صحوة فعدد الملتزمات بزي الله في تزايد، وهذا لأن الناشطات في مجال حقوق المرأة بصوتهن العالي. إنما يصرخن فيما يمس العقيدة، ويضعف صراخهن فيما يعود على المرأة بمكاسب اجتماعية ونفسية وصحية، بما يساعد أمومتها، دون النظر فيما تلبس. المهم أن تعرف المرأة حقوقها وواجباتها.

** فالمرأة لا تزال تتردى في سلبيات كثيرة، ليس للخمار دخل في صياغتها، إلا من وجهة نظر المتعنتات والمتعنتين.
فلا يزال المجتمع يحملها كل الأعباء، ويضاعف لها الأدوار، وهي تئن تحت وطأة هذا الحِمل.

لا تزال تعاني بوضع محرج خاص بطفلها وبالحضانة المناسبة، لا تزال تعاني من عدم توفر مساعدات المنازل وأجورهن الباهظة وانحدار أخلاقهن، لا تزال تعاني من متابعة أولادها دراسيًا في ظل مدرس لا يشرح في الفصل، ومتابعتهم أخلاقيًا في ظل لغة شبابية رديئة منشؤها يأس الشباب في وجود حياة كريمة، وفي مستقبل واضح، وبدلاً من أن نبحث لهؤلاء الشباب عن عمل مناسب نعري لهم المرأة حتى يفتِكوا بها..!!
المرأة لا تزال تعاني من نظرة المجتمع للمطلقة، وتعاني قصورًا في القوانين التي تحميها، ولا تزال تطالب بحق أولادها في معاشها، وفي جنسيتها، ولا تزال تعاني من معاملة غير آدمية في الشارع، وفي المواصلات.

كل هذه القضايا وغيرها أجبر بعضهن بالفعل على التخلص من ملابسهن الساترة والاتجاه إلى الإعلانات، والفيديو كليب، والرقص للسكارَى، واحتراف مهنة تسمى «موديلز».

كل هؤلاء لا تلتفت إليهن الكاتبة، والتفتت إلى البعض الآخر اللائي فضلن الاحتشام والمعاناة تحت قسوة الظروف، التفتت إليهن تخطب فيهن بملء فيها لتنزع عنهن لباسهن.

قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾

(النحل: ٤)

قال صلى الله عليه وسلم:

«أبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة المتشدقون والمتفيهقون»

ولله الأمر من قبل ومن بعد.. و«كل نفس بما كسبت رهينة»

* * *

الفصل العاشر

من تجاربي الشخصية

بحكم عملى بالصحافة التقيت بكثير من العلمانيين الذين لا يؤمنون بالحجاب ولا بدين أصلا، ويرون من الواجب عليهم تشكيك الناس جميعًا في أفكارهم ومعتقداتهم، فكثيرًا ما كنت أذهب إلى أحدهم لإجراء حوار، وبدلاً من أن أوجه أنا الأسئلة أجدني مضطرة للإجابة عن هذا السؤال.. لماذا ألبس الحجاب؟

عودت نفسي أن أرد على هؤلاء بإجابات مختصرة، ولكنها حازمة وقاتلة في الوقت نفسه، وفقني الله فيها بحسن التصرف.

فقد سألني صحفي كبير له شهرة واسعة: لماذا تلبسين الحجاب؟

فقلت له:

- رغما عني.

فرح وقال:

- أحقًا تلبسينه رغمًا عنك؟

قلت:

- نعم.. ولو تَركتُ لنفسي لأظهرت شعري وجمالي.

نظر للذي بجواره وقال:

- وهذا خير دليل على السلطة الرجولية، لا بُد أن أباها أو زوجها هو الذي فرض عليها الحجاب.

قلت:

لا.. ليس أبي ولا زوجي.

- من؟

- ربي، هو الذي خلقني ويعرف ما يصلح لي، ولو تركت لنفسي لضللت الطريق.

فبُهت الذي كفر.

* * *

وسألني آخر: لماذا ألبس الحجاب؟

فقلت له أعتقد أنه من الدين.

قال:

- لا ليس من الدين.

قلت:

- قلت لك إنني أعتقد، ويبعث الناس على نياتهم.

قال:

- ولكن بإمكاني أن أثبت لك أنه ليس من الدين.

قلت:

- لقد اثبت ذلك بالفعل لنفسك، وسوف تبعث على نيتك.

فبُهت الذي كفر.

* * *

وقال ثالث:

- لو كان النبي محمد موجودًا ما أمرك بلبس هذا، فهو القائل أنتم أدرى بشئون دنياكم.

قلت:

- لقد مارست شئون دنيانا بالفعل، تعلمت وعملت ولم أجد في ملبسي أي عائق من الحركة، ولا أجرؤ على التقول على النبي (صلى الله عليه وسلم) ماذا يمكن أن يقول بعد انقطاع الوحي.

فبُهت الذي كفر.

* * *

وسألتني كاتبة كبيرة وهي تشعل سيجارتها: لماذا تلبسين الحجاب؟

قلت:

- لماذا تدخنين السجائر؟

ضحكت، وكانت من الذكاء فلم تدخل في جدل.

* * *

وسألتني كاتبة كبيرة أخرى: لماذا تلبسين الحجاب؟

فنظرت إلى فخذيها، ولما لاحظت نظراتي استطردت قائلة:

- أنا لا أسمح لأحد أن يناقشني في لبسي.

قلت لها:

- وأنا مثلك.

* * *

ويضحكني كثيرًا قول بعض المتحذلقين والمتحذلقات الرافضين لطاعة الله حين يقولون: (إن غطاء الرأس غطاء على العقل!)

وأقول لهم:

** العقل هو الجوهرة الغالية التي تزين الإنسان بالحكمة من ناحية، وهو مصدر الحياة والحركة والديناميكية من ناحية أخرى. ولقيمته غطاه الله سبحانه وتعالى بثلاث طبقات أو أغلفة تحيط بالدماغ والحبل الشوكي.. وهي:

الأم الحنون (في التشريح) هي الغشاء الوعائي الرقيق الملاصق للمخ مباشرة، وتنحني مع سطحه الخارجي في ارتفاعه وانخفاضه.

الأم العنكبوتية: وهي الغشاء الأوسط بين الأم الجافية والأم الحنون.

الأم الجافية أو الصلبة: وهي الغشاء الخارجي الصلب المبطن لتجويف الجمجمة.

- وتحتوي المسافة بين الأم الجافية والأم العنكبوتية على سائل مصليّ يرطب سطحيهما، ويسمح بحركة المخ مع غشاءَيه الداخليين داخل غشاء الأم الجافية.
- وتحتوي المسافة بين الأم الحانية والأم العنكبوتية على الأوعية الدموية المغذية للمخ، وعلى السائل المخيّ الشوكي.

أما الخمار فهو يغطي الشعر فقط..!!

* * *

المراجع:

١- (الحجاب رؤية عصرية) - دار كيوان - دمشق.

٢- (صفوة التفاسير) - الشيخ محمد على الصابوني - المكتبة العصرية - بيروت.

٣- (مناهل العرفان في علوم القرآن) تأليف العلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.

٤- موسوعة (الأسرة تحت رعاية الإسلام) الجزء الثاني،

٥- (الحجاب بين التشريع والاجتماع) - الشيخ عطية صقر.

٦- (الحجاب شريعة ووقار) مجلة التصوف الإسلامي - يوليو ١٩٨٤م.

٧- صحيح البخاري.

والله المستعان

المؤلفة في سطور

- صحفية بدار الهلال
- عضو اتحاد كتاب مصر/ عضو نادي القصة/ عضو رابطة الأدب الإسلامي / عضو جمعية الأدباء، والكاتبات المصريات
- ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية. كلية دار العلوم
- معتمدة مؤلفة دراما ومتحدثة بالإذاعة المصرية
- لها عدة سهرات درامية بعنوان : أمي ولكن - السلطان والراعية- ابنة المليونير

برنامج عاشت الأسامي ثلاثون حلقة

- صدر لها :

- اتهام : مجموعة قصصية، الهيئة العامة للكتاب
- إحراج : مجموعة قصصية، سلسلة الكتاب الفضي بنادي القصة
- حب لم يعرفه البشر : رواية
- إبليس في أجازة : مسرحية، الهيئة العامة للكتاب
- أيام مع يحيي حقي
- الأبراج : دراسة في علم الفلك، مركز الراية للنشر والإعلام
- اسمك معلومة وفزورة ، الأستاذ فوازيرو : سلسلة للأطفال

الهيئة العامة للكتاب

- جولة مع عروس النيل : للأطفال ، عشرة أجزاء
- فضائل الشهور العربية : سلسلة للأطفال
- ندى وشجرة العصافير ، وقصص أخرى ، للأطفال
- عجائب سورة البقرة : مركز الراية للنشر والإعلام
- عجائب سورة النور : مركز الراية للنشر والإعلام
- عجائب سورة العنكبوت : مركز الراية للنشر والإعلام
- الإمام مالك بن أنس : مركز الراية للنشر والإعلام
- الإمام أبو حنيفة النعمان : مركز الراية للنشر والإعلام
- الإمام أحمد بن حنبل : مركز الراية للنشر والإعلام
- الإتيكيت في الإسلام : مركز الراية للنشر والإعلام
- حقائق مذهلة في جسم الإنسان : مركز الراية للنشر والإعلام
- موسوعة الدعاء المستجاب : مركز الراية للنشر والإعلام
- الحجاب رؤية إسلامية دائمة : ردًا علي كتاب «الحجاب رؤية عصرية»، مؤسسة شمس للنشر والإعلام.

- **تحت الطبع**

- أنا ودمي : مجموعة قصصية
- عيني عينك : مجموعة قصصية

• البريد الإلكتروني: nadiakelany@windowslive.com

الفهرس

افتتاحية ٧
المقدمة ٩
الفصل الأول: الحجاب في القرآن الكريم ١٣
الفصل الثانى: الحجاب في الحديث النبوي الشريف ٥٩
الفصل الثالث: خلفية تاريخية ٦٩
الفصل الرابع: الحجاب في التاريخ ٧٧
الفصل الخامس: الرق قبل وبعد الإسلام ٨٧
الفصل السادس: الحجاب والهوية الإسلامية ٩٣
الفصل السابع: آراء مع الحجاب ١٠٣
الفصل الثامن: وآراء ضد الحجاب ١١٩
الفصل التاسع: وأيضًا.. مقدمة الكتاب ١٣٧
الفصل العاشر: من تجاربي الشخصية ١٥٣
المؤلفة في سطور ١٥٩

شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥
www.shams-group.net

دوافع كثيرة ساقتني للرد على الرسالة الأستاذة إقبال بركة في كتابها (الحجاب رؤية عصرية) أبرزها قناعتي بأن الحجاب الثابت في النصوص القرآنية حولته أهواء البعض إلى قضية متأرجحة يتناولها هذا وذاك بلا موضوعية ولا إطالة نظر. ليس هذا فقط بل لإحساسي الجازم أن رغبات التفتيش عن النقاط ذات الحساسية في ديننا والخوض فيها بالمشارط لا الأقلام أصبحت تشكل متعة لدى الكثيرين دون الالتفات لما تحدثه السطور من خلط في مفاهيم العامة ممن يثقون في اسم الكاتب وتاريخه المهني. ومع الدافعين السابقين يبقى دافع ثالث يتمثل في غيرة المرأة المسلمة على دينها وحرصها وخوفها اللا محدود على الفتيات المسلمات ممن حيرتهم الآراء المتعاركة والتحليلات المتباينة فيما القضية الرئيسة واضحة وضوح الشمس.

كتابي في مجمله رد على مغالطات حفلت بها سطور الأستاذة إقبال بركة، وتصحيح في ذات الوقت للصواب المكتوب على الصفحات بل هو وثيقة حيادية حاولت فيها الإنصاف – ما استطعت - لا أبتغي من ورائها إلا نصرة الحق والترسيخ (للحجاب) رمز المرأة المسلمة وعنوانها الواضح.

وأخيراً تظل محبتي للكاتبة فوق كل نقاش، ويبقى دفاعي عن الحق شرفاً أتحلى به وأعيش.

نادية كيلاني